★★★★★
أعمال الرعب
الأصلية

د. محمود صلاح

الهرم الأسود

رواية

ساحر الكتب

الإشراف العام:
زياد إبراهيم

المراسلات:
الدور الثانى شقة 3
71 ب حدائق الأهرام البوابة الأولى -
ميدان الرماية - الجيزة

البريد الالكترونى:
baitelyasmin@gmail.com
ziad.meguid@gmail.com

تليفون:-
(+202) 01016685583
(+202) 01110094625

اسم العمل: الهرم الأسود- رواية
المؤلف: محمود صلاح

الناشر:
بيت الياسمين للنشر والتوزيع
رقم الإيداع:
2024/2857
الترقيم الدولى:
9789778172850
تصحيح لغوي: حنان الألفي

حقوق الطبع محفوظة.
الطبعة الأولى 2024

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب
أو اي جزء منه أو تجزئته في نطاق
استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل
من الأشكال، دون إذن خطى مسبق.

إلى الظروف الصعبة التي جعلتني على ما أنا عليه اليوم، إلى كل من آمن بي وبآرائي الغريبة، وإلى كل من أنتقدني وحاول هدم أفكاري، إلى أجناس جوف الأرض وبذور النجوم وكائنات ما بعد الجدار الجليدي.

إلى القراء الأعزاء أهديكم هذه الرواية والأمر متروك لكم أن تصدقوا ما فيها أو تعتبروا أنها مجرد حكاية مسلية . هل وصلت الرسالة ؟

د. محمود صلاح

(الموجة الأولى): (المعجزة)

القاهرة 2003

تنهدت روان في عمق وهي تنفث دخان لفافة التبغ في سماء غرفتها، وتحاول أن تنفض عنها غبار الملل والرتابة التي تعيشها منذ أن تخرجت من كلية الهندسة.

ثلاث سنوات مرت عليها منذ أن أنهت دراستها، ولم تصل إلى ما تريده حتى الآن.

كانت دائمة العمل في شركات ضخمة بفضل علاقات والدها السياسي المعروف ورجل الأعمال الناجح (سمير الفضيلي).

لم تكن تلك الفتاة المدللة التي توافق بسهولة على العمل في شركات والدها الضخمة، بل كان رفضها قطعيًا.

-لن أعمل في شيء يخص مالك أو شركاتك. بل إنني حتى لا أريد أن تقوم بترشيحي لدى معارفك وأصدقائك.

أريد أن أشق طريقي بنفسي. أريد أن أكون أنا المحرك الأساسي لحياتي بنفسي، بلا أي تدخل من أي شخص..

ورغم ذلك، كانت تعلم أن توصيات والدها هي السبب في عملها في بعض الشركات الكبرى، وربما كان ذلك هو السبب الذي جعلها تترك العمل في تلك الشركات؛ لتبحث عن وظيفة أخرى في مكان آخر.

وبقي السؤال الدائم: ما الذي أبحث عنه؟ هناك شيء منقوص في حياتي. هناك هدف حقيقي لوجودي في هذا الكون الشاسع. لماذا أشعر دائمًا أنني في هذا الكوكب لهدف

ما؟

من المستحيل أن يكون وجودي مقتصرًا فقط على العمل كمهندسة للديكور. هل هذا هو الطريق الممتد إلى ما لا نهاية؟!

بعد سنوات سوف أتزوج وأنجب عددًا من الأطفال، وأجلس جوار زوجي الذي سوف تختاره أسرتي، ونتناول البطيخ سويًا، ويتدلى كرشه صانعًا بالونًا ضخمًا يسمح له بوضع فنجان القهوة عليه! وفي المساء يبدأ الشخير بصوت عالٍ؛ لأنه يعاني من إرهاق العمل. وأجد أنني رزقت بطفلين في منتهى السماجة والسخافة يقومان بتكسير كل ما يجدانه حولهما. ناهيك عن الاهتمام بهما وبدراستهما وحالتهما الصحية...

اللعنة على تلك الحياة قبل أن تبدأ!

أنا لم أخلق أبدًا لذلك. دائمًا ما كنت باختلافي عن الآخرين. لم أحب يومًا أن ينظر لي الأصدقاء - سواء في المدرسة أو في الجامعة - على إنني ابنة السياسي ورجل الأعمال المشهور. بل إنني لم أكن على وفاق مع طبقة الأغنياء في الجامعة. كنت أجد سعادة غامرة في أن أكون مع الأصدقاء الذين يحبون روان من أجل روان نفسها، وليس من أجل والدها أو مستواها الاجتماعي.

وهكذا مرت السنوات وانتهت علاقتي بالجامعة.

ولكن ووسط كل ذلك كنت دائمًا على قناعة أن وجودي في

هذا الكون لسبب مما. من المؤكد أن حياتي لها هدف حقيقي وأسمى من أن أكون مجرد مهندسة تتزوج وتنجب وتعمل إلى أن تنتهي حياتها..

أين بصمتي في ذلك الكوكب المخبول؟! ما هو الشيء الذي سوف أقوم به يومًا، وما ومعه سوف أصل إلى حالة الرضا النفسي والقناعة بأن مهمتي قد انتهت؟

بالطبع لم يستطع أحد أن يفسر لي سبب أحلامي المتكررة والغريبة!

ولم يستطع أي من أصدقائي أن يفسر لي حقيقة مشاعري الغريبة عن وجودي في هذا العالم والهدف منه.

منهم من اتهمني بالإلحاد، ومنهم من كان ينظر لي في بلاهة ويؤكد أنني في حاجة إلى طبيب نفسي، وربما لأحد الدجالين كذلك. فربما أنا ممسوسة أو ملبوسة.

ولذلك اخترت الصمت صديقًا كان أقرب أصدقائي في الواقع، يكفي أن احتفظ بمشاعري وأحاسيسي لنفسي، وربما يومًا ما سوف أصل إلى الحقيقة والغاية من وجودي.

بعد سويعات من جرعات الملل المكثفة قررت الذهاب إلى النادي للقاء بعد الصديقات، وكالعادة بعد العناق والقبلات جلست أنا وإلهام وصوفية ونيرة للحديث عن كل الأمور السخيفة التي يمكنك أن تتخيلها. ما بين الحديث عن نجوم السينما للحديث عن أحدث خطوط الموضة في العالم.

-أنا زهقت.

قلتها لهن بشكل مفاجئ، حتى أن نيرة انتفضت على مقعدها بعنف وهي تنظر لي ولبقايا فنجان القهوة الذي رسم لوحة عظيمة على صدرها، ثم انفجرنا جميعًا في الضحك

هنا نظرت لي صوفيا في خبث:

- عاوزه تسافري، صح؟

- ياريت يا صوفية. بجد أنا زهقت والملل قتلني

وبشكل غريب.

اتفقنا على السفر يوم الخميس القادم لقضاء خمسة أيام في شرم الشيخ، ورغم فرحتي الغامرة بالسفر، ولكن كان هناك هاجس قوي بداخلي.

عادة أثق في حدسي ولكن الحدث هذه المرة مختلف، مزيج من البهجة والحزن. مزيج غريب لم أشعر به من قبل.

وفي النهاية أقنعت نفسي أن السفر ربما يغير ذلك الشعور الغريب الذي يسيطر على تفكيري.

يوم الأربعاء أخبرت والدي ووالدتي على العشاء أنني سوف أسافر غدًا لقضاء بضعة أيام في شرم الشيخ..

نظر لي والدي بابتسامته المعهودة، وهو يقول:

- قضي وقت حلو يا حبيبتي.

أما والدتي فكانت على النقيض، فنجوان هانم الخزامي

دائمة العصبية، سريعة الاشتعال، غاضبة لأتفه الأسباب.

والحقيقة إنني لا أعلم سر تمسك والدي بها كل تلك السنين.. والله، لو كنت مكانه لانفصلت عنها بعد شهر من الزواج!

نظرت لي والدتي بتحفز ولأنني لم أكن في حالة تسمح لي بالصراخ أو النقاش المتوتر فقد قطعت عليها الطريق من بدايته:

- ماما. أنا هسافر لأن نفسيتي تعبانة. ومحتاجة أغير جو. وأنا خلاص اتفقت مع أصحابي، هنكون في الشاليه عند صوفي في القرية، والدنيا هناك أمان جدًا وفي حراسه. وهاكل كويس. وهاخد بالي من صحتي. ومش هدخن كتير. اطمني..

قلت كل ذلك بدون توقف حتى لا يكون لديها فرصة للنقاش. هي تعلم انني سوف أسافر. وأنا أعلم ما سوف تخبرني به، فلماذا التطويل من الأساس؟!

نظرت لي والدتي والشرر يتطاير من عينيها... ولم تنبس ببنت شفة.

وحينما نظرت إلى والدي كان يبتسم بفرح حقيقي.

في الصباح كان لقائي مع صديقاتي.

لن نسافر بالباص وإنما سوف تكون رحلتنا بسيارة نيرة لكي نستمتع بالطريق، فهي الفتاة الوحيدة التي تعشق

السيارات الضخمة عكس كل الفتيات ممن يعشقن السيارات الصغيرة والخفيفة...

واتفقنا أن نتبادل الأدوار في القيادة..

بعد ساعتين كان الدور قد جاء على نيرة لقيادة السيارة..

عبرنا نفق الشهيد أحمد حمدي، ورأس صدر، ودخلنا أخطر مناطق طريق شرم الشيخ..

الطريق عبارة عن حارة واحدة للاتجاهين.. ويجب أن تكون في منتهى الحذر من السيارات المقابلة لك، وخصوصا سيارات النقل..

الهاتف بداخل عقلي يتردد دويه عاليًا. هناك شيء غير طبيعي يحدث لي..

أشعلت لفافة تبغ. وحاولت أن أتجاهله...

نظرت لي نيرة التي تتولى القيادة وبجوارها صوفية وهي تقول:

- بصي جنبك هتلاقي طفاية للسجاير بلاش تبهدليلي العربية...

ضحكت وأنا أبحث بجواري بين كومة الأكياس المتواجدة على أرضية السيارة عن الطفاية، ولم أجدها...

- مش لاقياها يا نيرة خلاص بقى ركزي في السواقة وأنا هتصرف..

ولكن نيرة التفت ناحيتي وهي تشير إلى الجانب الأيمن من الأكياس البلاستيكية وتقول: - هنا، هتلاقيها هنا.....

- حاسبي يا نيرة حاسبي.

كانت صوفي تصرخ في رعب والسيارة تتجه إلى الناحية اليسرى من الطريق ومباشرة ناحية سيارة نقل هائلة الحجم..

ووسط الصرخات حدث الارتطام..

الصرخات.. طعم الدماء.. أصوات متداخلة.. ولم أميز سوى ملامح إلهام التي كانت الدماء تغمر وجهها تمامًا.

- يا ساتر يا رب..

- الإسعاف.

- حد يتصل.

- دول ماتوا.

- لا في واحدة منهم لسة فيها الروح.

- الحقونا بالإسعاف.

ولم أعد أسمع شيئًا..

كنت أشعر بجسدي خفيف تمامًا، حالة من الهدوء والراحة النفسية لم أشعر بها من قبل طوال حياتي.

طريق طويل وألوان زاهية تسطع من الجانبين.

وفي نهاية الطريق كان الضوء الأبيض اللامع يظهر جليًا.

جسدي شبه طائر في ذلك النفق.

أصوات متداخلة تتحدث في هدوء جميل ومحبب للنفس تحاول الانسياب داخل عقلي.

ولكني لا أستطيع تمييزها... وأنا أقترب أكثر وأكثر من ذلك الضوء الأبيض، كنت أشعر بفرحة وراحة نفسية عجيبة كلما اقتربت من ذلك الضوء.

أغمض عيني في راحة وأنا شبه مستعدة لكي يغمرني الضوء في نهاية ذلك الطريق.

أفرد ذراعيّ في استسلام وأنا أستعد للوصول إلى النهاية.

كل أحلامك تتوقف هنا.

كل ما مررت به ينتهي هنا.

كل مخاوفك وأفراحك تنتهي هنا.

وابتسمت بشكل لا إرادي وأنا على بعد خطوات من ذلك الضوء.

ولكن وقبل أن أصل إليه شعرت بتلك اليد التي قبضت على رسغي في قوة، وصوت يتردد بقوة داخل جنبات عقلي:

- لم يحن الوقت بعد.

حاولت أن أتملص من تلك اليد، ولكنها كانت تمسك برسغي في استماتة.

- لم يحن الوقت بعد لكي تصلي للنهاية.

كان صوت ذلك الرجل يتردد مرة أخرى في عقلي وهو يقول:

- لم تحن نهايتك بعد، فلا داعي لاستعجالها....

أصوات متداخلة أسمعها هذه المرة.

- النبض توقف.

- ابعدوا إيديكم.

- هزود الجهد.

- المريضة بتروح مننا.

- زود جهد الجهاز لـ350 .

- مفيش نبض.

أصوات متداخلة أكثر وأكثر، ولكنني كنت أبتعد عن الضوء وأعود للخلف بسبب تلك اليد التي تجذبني للعودة في استماتة.

- يومًا ما سوف تدركين الحقيقة.

يومًا ما سوف تفهمين كل شيء.

وقبل أنا أتحدث بما يجول في خاطري تلقيت الصدمة الهائلة في صدري، وشهقت في عنف.

- الحمد لله.

- الحمد لله النبض رجع.

أصوات تتداخل

وتبتعد مرة أخرى. ولكنني غادرت الطريق أو النفق.

غادرته وغادرني الضوء في نهايته.

- طمني يا دكتور بالله عليك، طمني بنتي هتعيش؟

وقف الطبيب وهو يبتسم في صعوبة قائلًا:

- يا سمير بك احنا عملنا اللي علينا، وإن شاء الله بنتك هتعدي مرحلة الخطر.

هنا صرخت نجوان الخزامي في عنف:

- أنا بنتي مش هتتعالج هنا.

أنا بنتي هتسافر فورًا وتتعالج في الخارج.

نظر لها الطبيب في حنق، وهو يقول:

- يا مدام احنا عملنا كل اللي ربنا قدرنا عليه، وصدقيني مفيش أي فرق بين اللي احنا بنعمله واللي ممكن يتعمل في أي مكان في العالم.

هنا انفعل سمير الفضيلي وهو يوجه كلامه للطبيب:

- يا كتور متزعلش من زوجتي وكلامها، ولكن أرجوك بالله عليك طمني هل الحالة مستقرة؟ هل بنتي هتعيش؟

ربت الطبيب على يده وهو يقول في تردد:

- إن شاء الله تعيش إن شاء الله..

هنا صرخت نجوان في عنف:

- روان بنتي تسافر يا سمير.

أبوس إيدك بنتي تسافر وتتعالج برا.

كان سمير الفضيلي يجري بعض المحادثات من هاتفه

وبعد أقل من ساعة اكتظ المكان بالأطباء..

وبعد أن جلسوا جميعًا، وتابعوا الحالة عن قرب،

خرج أكبرهم سنًا وهو يوجه كلامه لوالدي روان:

- فعلًا الأطباء عملوا اللي في إيديهم،

والباقي هيكون دعاءكم وربنا قادر على كل شيء...

وصرخت نجوان وهي تفقد الوعي،

ولم يتمالك سمير نفسه وأخذ يبكي في عنف وهو ينهار على أقرب مقعد بجواره.

وفي تلك اللحظات اقترب منه أحد الأطباء وهو يربت على كتفه قائلًا:

- يا سمير بك الحالات دي بنمر بيها كتير وفي منها حالات كتير ممكن تعيش.. خلي إيمانك كبير بالله، وادعي لبنتك....

- يا رب يا دكتور يا رب.

بعد سويعات خرج الطبيب المعالج مرة أخرى وهرول ناحيته سمير:

- طمني يا دكتور.

نظر له الطبيب في حزن:

- البنت بتعاني من كسر في الأربع أطراف، وشرخ في الجمجمة. وشظايا في الرئة، وتهتك جزئي في قرنية العين اليسرى، دا بخلاف كمية الدماء اللي فقدتها. دعواتك ليها..

وجلس سمير في مقعده بدون حراك، وهو غير مصدق أن نهاية ابنته سوف تكون بتلك الطريقة.

ولم تمر دقائق إلا وكان يقف بجواره شخص أجنبي يتحدث معه باهتمام.. وهو يشير إلى الغرفة التي تستقر بها روان وينظر إلى التقرير الطبي الخاص بها.. وانضم لهما مدير المستشفى، والجميع منهمك في حديث حول سفر البنت لاستكمال العلاج بالخارج...

وتم الاتفاق أن يتم السفر فور استعادتها لوعيها.

- عشرة أيام لحد دلوقتي يا سمير.

قالتها نجوان بعصبية بالغة وهي تكمل:

- والبنت في غيبوبة. فين الأطباء؟ فين المعارف والخبراء الأجانب؟

نظر لها سمير الذي طالت لحيته وهو يشعل سيجاره الضخم ويقول:

-احنا مش مقصرين في أي شيء يا نجوان.

الخبراء موجودين بالفعل. وأحضرت خبراء من إنجلترا مخصوص للبنت. والجميع كان كلامهم واحد.

مينفعش البنت تتحرك إلا لما تستعيد وعيها، ولو اتحركت دلوقتي دا في منتهى الخطورة على حالتها..

استهدي بالله وادعيلها يا نجوان،

ادعيلها ربنا يقومها بالسلامة، ووقتها هنكمل علاجها في إنجلترا في أكبر مستشفى هناك.

وبالفعل لم يعد في يد أي منهما سوى الدعاء.

وقفت الممرضة وهي تتأمل في حزن روان الغارقة في غيبوبتها وصديقتها تهمس لها:

- أغلب الحالات دي مش بتعيش. اسأليني أنا. أنا بقالي هنا عشر سنين، ومفيش حالة غيبوبة بترجع للحياة تاني، كلهم بيفضلوا كده لحد ما ربنا بيأذن وبتنتهي حياتهم..

- عارفة البنت دي بنت ناس أكابر قوي، وأبوها الراجل المشهور اللي بيطلع في التليفزيون اللي اسمه سمير الفضيلي.

- الراجل يا ولداه بعت جاب دكاتره من بلاد بره وكلهم قالوا نفس الكلام، أن حالتها صعبة ولما حاول إنه يسفرها رفضوا وقالوا إن دا في خطر على حالتها اللي هيا أصلا متنيلة.

- عارفة يا أمل حتى لو عاشت. مش ممكن هتبقى طبيعية تاني. على كل البلاوي اللي في جسمها ومخها.

- ربنا يشفيها ويصبر أهلها..

قالتها أمل وهي تنظر ناحية روان. وتساءلت في أعماقها: هل من الممكن أن تعود هذه الفتاة للحياة مرة أخرى؟

ونظرت في ساعتها ثم بدأت تحقن بعض الأدوية في الكانيولا حسب جدول الأدوية الموضوع للفتاة.

أما الممرضة الأخرى إخلاص فقالت لها:

- خلصي وابقي تعالي عشان نتعشى مع بعض احنا بعتنا نجيب أكل...

شكرتها أمل وهي تجلس بجوار روان قائلة:

- تسلمي يا إخلاص. أنا اتعشيت الحمد لله، بألف هنا عليكم.

- زي ما تحبي يا أمل.

قالتها إخلاص وغادرت الغرفة لتترك أمل بمفردها جالسة تتأمل روان. والحقيقة أن أمل كانت تشعر بالشفقة على تلك الفتاة، ربما بسبب ملامحها الجميلة التي دمرها الحادث، وربما بسبب صغر سنها. لم تتواصل أفكارها..

ففي تلك اللحظة أصدر أحد الأجهزة أزيزًا متقطعًا... أزيز يعني ببساطة استعادة روان لوعيها، أو على الأقل لجزء منه.

ومع انطلاق الأزيز بدأت روان تتأوه بصوت ضعيف..

وفي دقائق تحولت غرفة روان إلى خلية نحل من الأطباء والاستشاريين المصريين والأجانب،

وكانت الفرحة العارمة من نصيب والدها ووالدتها..

ورغم عدم سماح الأطباء للوالدين بالاقتراب من غرفة الفتاة، ولكن يكفي أن كل الأطباء يؤكدون على أن ما حدث - وتحديدًا مع حالة روان - هو معجزة طبية بكل المقاييس.. فالحقيقة أن نسبة عودة الوعي لمثل هذه الحالات التي تضرر فيها جزء من المخ لا تتعدى الواحد بالمائة.. ولكنها حدثت هنا.... حدثت مع روان.

- الاستجابة ضعيفة للغاية.

قالها حامد منصور الاستشاري الشهير ورئيس الفريق الطبي المسئول عن حالة روان، وهو يقرأ التقرير الطبي الأخير الذي يوضح حالتها.

كان يقرأ التقرير وفي قرارة نفسه هو مدرك تمامًا أن هذه الفتاة لن تعود كما كانت من قبل، بل إنه كان على قناعة تامة أن عودتها من الغيبوبة هو حدث فريد في حد ذاته، ويستحق الدراسة، وخصوصًا مع حجم الضرر الذي أصاب المخ. والتلف الواضح في الفص الصنوبري مع باقي الأجزاء المتضررة.

الأمر برمته غريب وغامض. فعودة مثل هذه الحالات للحياة مرة أخرى هو أمر نادر الحدوث، وحتى الحالات التي تعود للحياة سوف تكمل البقية المتبقية من أيامها وهي كالطفل الصغير بسبب مقدار الضرر الهائل الذي تعرض له المخ.

كانت كل الأفكار تتصارع في عقله وهو يفكر في الطريقة التي سوف يبلغ بها والديها عن الحالة الحقيقية للفتاة. وأن عليهما أن يستعدا لتقبل الحقيقة المؤلمة، وهي أن ابنتهما لن تعود كما كانت.

ويجب أن يحمدا الله على أنها ما زالت على قيد الحياة من الأساس.

بعد مرور ساعتين كان يجلس مع والد الفتاة وهو يخبره بالحالة الحالية لروان، بعد مرور عشرة أيام على عودتها من الغيبوبة.

وكما توقع.

استقبل والدها كلمات الطبيب وامتقع وجهه من الصدمة. ولكنه حاول أن يتمالك نفسه وهو يسأله بصوت مبحوح:

- وهل هناك أي أمل في علاج لحالة روان في أي بلد على مستوى العالم؟

أجابه الطبيب بحزن.

- دعني أوضح لك الصورة بأكملها يا سيد سمير.

عودة روان إلى الحياة هو حدث علمي نادر الحدوث. وهو شيء يجب أن تحمد الله عليه، فكل الحالات المشابهة لم تعد من الغيبوبة من الأساس.

أما مع روان فقد عادت إلينا..

نعم هي ما زالت مشوشة، ولا تستطيع الكلام، ولكن ربما مع الوقت..

هنا قاطعه سمير الفضيلي وهو يخبط بقبضته على المكتب:

- أي وقت الذي تتحدث عنه؟! أي وقت الذي سوف أشاهد ابنتي فيه وهي عاجزة؟!

ابنة سمير الفضيلي لن تكون عاجزة يا دكتور. سوف أفعل المستحيل من أجل أن تعود كما كانت. لن أسمح أن تكمل ابنتي الحياة بهذا الشكل.

ولا تخبرني أن الحالة سوف تبقى كذلك وإلا كان هذا هو اعتراف منك ومن الطاقم الطبي بالتقصير في حق ابنتي.

قاطعه الطبيب بعصبية وهو يقول:

- يا سمير بك أرجوك لا تتهمني أنا أو الطاقم الطبي بالتقصير، فنحن لم نقصر في أي شيء ويشهد الله على ذلك. لقد بذلنا ما في وسعنا من أجل ابنتك، ولم ندخر جهدًا معها، ولكن العلم له حدود. والقدرة البشرية كذلك لها حدود.

هنا وقف سمير الفضيلي ونظر للطبيب وهو يحاول أن يكتم مشاعره.

وترك المكتب وغادر متجهًا إلى غرفة روان.

وقف ينظر إليها من الحاجز الزجاجي لباب الغرفة، وهو يتأمل الفتاة التي تنظر إلى سقف الغرفة بلا أي حراك..

وفي قرارة نفسه كان يقسم أنه لن يتوانى عن أن يفعل المستحيل حتى تعود ابنته كما كانت..

- علي فين يا سمير بك؟

قالها صابر البرديسي السائق الخاص لسمير الفضيلي.

صابر يعمل مع سمير منذ عشرين عامًا. وهو يعتبر نفسه فردًا من هذه العائلة. وكان في أشد حالات الحزن بعدما أصاب روان، وهو يعلم مقدار الألم والمرارة التي يشعر بها سمير وزوجته حزنًا على الحالة التي تمر بها روان.

- يا سمير بك تحب نطلع على فين؟

أجابه سمير بصوت متهدج:

- اطلع بينا على أي مكان أعرف أتنفس فيه يا صابر. حاسس إني مخنوق.. مخنوق ومش قادر آخد نفسي.

- ألف سلامة عليك يا بيه.

وبالفعل انطلق صابر ليتوقف بالسيارة على هضبة المقطم.

هو يعلم أن هذا المكان هو المفضل لسمير الفضيلي.

وبالفعل ترجل سمير من السيارة ليجلس على تلك الأريكة الصغيرة. ويشعل سيجاره الفخم، وهو يفكر في كلمات الطبيب. معني كلام الطبيب أن الفتاة سوف تكمل حياتها معاقة.. وبشكل لا إرادي كانت دموعه تنساب على وجنتيه.

أما صابر، فكان على استعداد أن يفعل أي شيء من أجل

هذه العائلة، ومن أجل ذلك الرجل الذي كان وما زال يعامله كأخ حقيقي وليس مجرد سائق يعمل لديهم. حتى لو اقتضى الأمر أن يفصح عن السر الأعظم لقبيلتهم من أجل محاولة انقاذ روان.

- استهدى بالله يا سمير بك. استهدي بالله، وإن شاء الله في حل.

نظر له سمير في حزن قائلًا:

- فين الحل يا صابر؟! مفيش حل!

البنت بتضيع قدام عينيا وأنا مش عارف أتصرف.

اقترب منه صابر أكثر وهو يقول:

- أنت عارف إني لحم كتافي من خيركم. وعمري ما هقدر أنسى وقفتكم جنبي في تربية ولادي وفي جوازات بناتي.

وتلفت حوله بحرص وهو يقول:

- وعشان كده أنا احتمال يكون عندي حل وعلاج لروان.

هنا نظر له سمير في ذهول قائلًا:

- أنت بتقول إيه يا صابر؟!

ابتسم صابر لتبرز اسنانه ناصعه البياض، وهو يقول: - أيوه يا بيه، في إمكانية لوجود حل..

أنت عارف إني اتولدت في النوبة قبل ما أبويا ينزل على مصر ويشتغل مع البيه والدك.

ولكن أنا من وقت للتاني كنت بسافر وكنت دايما بسمعهم في البلد بيتكلموا على أنواع غريبة من العلاجات. علاجات قديمة جدًا. من أيام جدودنا الفراعنة. يمكن مكنتش بصدق كلامهم،

بس اللي خلاني أصدق إن ممكن يكون كلامهم صح هو حالة غريبة لواحد في البلد عندنا كل الدكاتره قالوا إنه مستحيل يتعالج، ولكن كبار القرية عندنا عالجوه. وبعد ما كان مهدد بالموت بسبب فيروس الكبد الوبائي. الرجل بقى زي الفل. وعايش وموجود.

قاطعه سمير.

- بس يا صابر حالة روان مش التهاب كبدي. حالة البنت مركبة ومعقدة ومحتاجة معجزة حقيقية.

رد عليه صابر قائلًا:

- يا بيه ربنا قادر على كل شيء. ولولا غلاوتكم عندي أنا مكنتش قلت السر دا لأي شخص، ولكن انتوا عيلتي وخيركم عليا فمستحيل يكون في إيدي أي شيء أقدر أقدمه وأبخل بيه عليكم.

- طب قولي يا صابر إيه نوع العلاج دا بالظبط؟

أجابه صابر.

- الحقيقة أنا مقدرتش أفهم كل شيء عن العلاج. بس اللي فهمته إن جدودنا كانوا بيستخدموه مع بعض الحالات،

وخصوصًا بعد ما كشفوا عن المعبد الصغير عندنا في البلد. أينعم الحكومة راحت وحطت إيديها على المكان، ودا كان ظاهريًا فقط ولكن الحقيقة إن المعبد مكنش صغير، بالعكس كان كبير وضخم جدًا، واللي سمعته من أبويا الله يرحمه إنهم لقوا برديات، وصناديق خشبية، وتوابيت، أحجار غريبة في المعبد دا.

وإن بعد فترة البعض منهم قدر يفهم إن البرديات كانت بتشرح طرق غريبة في علاج الحالات المرضية. والتوابيت كمان كانت عبارة عن أماكن للعلاج مش توابيت للدفن.

وفضل السر دا موجود في العائلة عندنا ومحدش يقدر يحكيه. وخدنا عهد إننا نتكتم عليه..

بس أنا مقدرش أخبي سر ممكن ينقذ روان أو حتى يساعدها.

نظر له سمير وهو يهز رأسه قائلًا:

- يا صابر توابيت إيه، وبرديات إيه اللي هتعالج بنتي بس؟! يمكن دي مجرد أساطير بيقولوها عندكم، ومش شرط تكون حقيقية. لأن دا لو حقيقي كان هيبقى اكتشاف علمي رهيب والبرديات دي كان زمانها بيتم تدريسها في كليات الطب وبنعالج كل الأمراض.. اللي بتحكيه دا ينفع يكون فيلم أجنبي نتفرج عليه، بس مستحيل يكون حقيقي..

تنهد صابر وهو ينظر إلى سمير بك قائلًا:

- يا سمير بك صدقني والله أنا مش بكدب عليك. اللي أنا بحكيه دا شيء حقيقي وأنا المفروض محكيش عنه، ولكن مقدرتش. قول يا رب وسيبها على الله. مش يمكن يكون اللي أنا بحكيه دا سبب لعلاج البنت؟

وضع سمير يده على جبهته وعقله يأبى أن يصدق كلمات صابر العجيبة.

هل من الممكن أن يكون كلام صابر حقيقي؟! هل هناك أمل في أن تشفى روان؟!

كان يفكر في كل ذلك وهو يتذكر ملامح ابنته الضاحكة وهي تلهو وتلعب وتنضج أمامه، وارتسمت أمامه صورتها وهي راقدة في المستشفى بلا حراك..

وفي طريق العودة لمنزله كان يفكر في كل شيء، وفي كل الاختيارات ما بين سفر البنت للخارج أو أن تستكمل علاجها في مصر. أو أن يذهب بها إلى ما وراء السد العالي في بلاد النوبة لمحاولة علاج الفتاة.

مئات الأفكار كانت تتصارع في حلبة عقله، وهو يجلس في غرفته في محاولة لاتخاذ القرار الذي سوف يحدد مصير ابنته.

اعتدل في جلسته وتناول هاتفه وهو يبحث عن رقم ما واتصل به:

- الو دكتور شوقي البرلسي..

- أهلا أهلا سمير بك.

- أهلا دكتور شوقي يا رب تكون بخير.

- الحمد لله يا سمير بك. والله أنا سمعت بالحادثة اللي حصلت لبنتك. ألف سلامة عليها.

- الله يسلمك يا دكتور. معلش كان عندي سؤال مهم.

- اتفضل.

- يا دكتور بحكم خبرتك في التاريخ المصري القديم هل بالفعل المصريين القدماء كان لديهم علاجات لكل الأمراض؟ وهل في أي برديات وجدت بتأكد هذا الكلام؟

أجابه دكتور شوقي. - الحقيقة يا سمير بك فعلا في بعض البرديات كانت بتتكلم عن أنواع من العلاجات اللي كانت بتستخدم في العصور القديمة، ولكن المشكلة الحقيقية إن البرديات دي كانت منقوصة وغير مكتملة، أو كانت حالتها بعد اكتشافها لا تصلح لقراءتها وترجمتها بشكل كامل، ولكن الحقيقة إن اللي قدرنا نفسره من الأجزاء السليمة هو إن فعلًا المصريين القدماء اكتشفوا أنواع متفردة من العلاجات لمختلف الأمراض. ولكن للأسف لم نجد من خلال اكتشافاتنا الأثرية إلا بعض الوصفات الطبيعية لعلاج الأمراض العادية زي الحمى والصداع وتخفيف الآلام.

قاطعه سمير وهو يسأله في لهفة:

- طيب سامحني يا دكتور هسألك سؤال تاني.

أجابه شوقي البرلسي الباحث الشهير في التاريخ المصري القديم وأحد العلامات البارزة في الوسط الأثري في مصر:

- تحت أمرك طبعًا. اتفضل.

سأله سمير وهو يضغط على كلماته بصوت خفيض:

- هل هناك ما يدل في التاريخ القديم على ووجود توابيت علاجية استخدمها المصريون القدماء لعلاج الأمراض والحالات المستعصية؟

هنا صمت الدكتور شوقي للحظات ثم أجابه:

- الحقيقة إن اللي حضرتك بتحكي عنه دا أنا سمعت عنه، ولكن كان في ورقة بحثية من فترة طويلة تم عرضها في مؤتمر بكندا من خلال أحد الباحثين الكنديين، ومحدش ساعتها اقتنع بكلام الباحث اللي كان بيأكد إنه شاف بردية مرسوم عليها النوع دا من العلاجات، ولكن للأسف الشديد البردية دي تم سرقتها من الفندق اللي كان بيقيم فيه في فترة تواجده مع البعثة الأثرية الكنديه سنة 1985.

هنا قاطعه سمير وسأله بغتة:

- هل تتذكر البعثة دي كانت شغالة وبتقوم بالتنقيب فين في مصر؟

أجابه شوقي:

- آه طبعًا فاكر، البعثة دي كانت شغالة في النوبة وأسوان، وأنهت عملها بعد التوصل لبعض الحفائر، ولكنها لم تكن ذات

أهمية أو قيمة كبيرة..

لمعت عينا سمير بعد كلمات الدكتور شوقي، وشكره وهو ينهي معه المكالمة.

وبدأ الأمل في علاج ابنته يظهر من جديد.

ها هو قد أجرى مكالمة مع أحد أبرز الباحثين في التاريخ المصري القديم..

والرجل أخبره أن كل ما سمعه عن هذا النوع من العلاجات كان من خلال ورقة بحثية.. وبردية تمت سرقتها فيما بعد. هل من الممكن أن يكون هذا الكلام حقيقي؟!

هل ما أخبره به صابر السواق حقيقة وليست مجرد أسطوره؟؟

ام أن كل ذلك مجرد تخاريف. يتناقلها الأشخاص بدون وعي أو تفكير؟

كان عقله يكاد أن يشتعل من كثرة الأفكار المتضاربة.

هل يصدق صابر، أم يصدق الدكتور شوقي، أم يصدق الأطباء الذين أخبروه أن الحالة ميؤس منها؟

هل يسير في طريق الأمل، أم يستسلم للأمر الواقع؟

مئات الأفكار كانت تدور وتدور في عقله.

لم يكن من النوع الذي يستسلم بسهولة، كما لم يكن من الشخصيات التي تؤمن بالخزعبلات والأساطير..

كان دائمًا رجلًا عمليًا، ويقوم بحساب كل شيء بالورقة والقلم،

وحينما بدأ يفكر بعقلانية كان عقله يؤكد أن كل ذلك مجرد عبث وأساطير غير حقيقية..

بينما قلبه يؤكد أن عليه أن يطرق كل الأبواب في سبيل علاج ابنته..

حديث الدكتور شوقي بشكل ما ربما يتوافق مع كلام صابر. وينفيه في نفس الوقت..

هل صابر صادق في كلامه، وأن هناك علاجًا غريبًا وغامضًا يتم استعماله في قريته بالنوبة؟

هل من الممكن المجازفة بإخراج روان من المشفى والذهاب بها إلى النوبة لتلقي علاج أسطوري غامض من الممكن ألا يكون موجودًا من الأساس؟!

هل سوف يغامر بالبقية الباقية من صحة ابنته من أجل بصيص من الأمل؟!

- الأمل..

رددها بصوت مسموع وهو يتصل بصابر. يتصل بالرجل المخلص الذي عاش معهم سنوات وسنوات.

الرجل الذي زرع الأمل في طريق تلك الأسرة..

وبعد محادثة سريعة، قرر أن يخوض بابنته تلك التجربة،

بحثًا عن الحياة لها. وممسكًا بآخر مشاعل الأمل..

(الموجة الثانية): (التابوت)

- أرجوك يا خالي اسمعني بس وافهم قصدي.

كان يقولها صابر وهو ينظر إلى خاله عمدة تلك القرية الصغيرة المنسية؛ قرية (الغريب). ولكن الحاج عيسى أشاح بوجهه وهو يرد على صابر بعصبية قائلًا:

- أنت تعلم يا صابر أن أسرارنا لا يمكن أن تخرج، وتعلم أن ذلك عهد قطعناه على أنفسنا جميعًا، علوم الأجداد هي سر، ويجب أن تبقى كذلك.

استمر النقاش لأكثر من نصف ساعة وصابر يترجى خاله أن يوافق على علاج روان؛ نظرًا إلى ما قام به والدها - سمير الفضيلي - من أجله ومن أجل اسرته سابقًا،

وبعد عناء وافق الرجل على مضض.

وافق أن تحضر الفتاة للعلاج، ولكن بمفردها.. وكرر كلماته في حدة وهو يقول:

- سوف تأتي بمفردها يا صابر، وليسامحنا الله على الحنث بعهدنا.

بعد ثلاثة أيام كانت الطائرة الخاصة تهبط في تلك المنطقة المعزولة، وهبط منها صابر، ومن بعده هبط منها طبيبان يحملان محفة ترقد عليها روان.

وهنا أشار صابر إلى مكان ما، ليظهر منه عدد من السيدات

والرجال. حملوا روان. وحاول أحد الأطباء أن يذهب معها، ولكن صابر صرخ فيه بصوت عالٍ متجاوزًا صوت الأزيز الهائل للطائرة:

- ممنوع يا دكتور، وأعتقد أن سمير بك مبلغكم كل شيء، واتفاقنا كان واضح.

وافق الطبيب على مضض وهو يعود إلى الطائرة. ولكنه التفت إلى صابر قائلًا: لدي رسالة لك من سمير بك..

«روان هي الشيء الأهم في حياته. بيقولك: حافظ عليه، بحق العشرة اللي بينكم»..

أشار له صابر على رقبته وهو يقول:

- دي بنتي وفي عينيا.. طمن سمير بك، وسوف انتظركم بعد ثلاثة أيام..

غادرت الطائرة مخلفة سحابة هائلة من الغبار..

وبعد لحظات كان الطبيب ينظر من نافذتها. ليراقب ما يحدث في الأسفل. ولكنه لم يجد أحدًا من الأساس. لقد غادروا المكان. بلا أثر.. أي أثر.

كانت هذه هي المرة الأولى التي يرى فيها صابر هذا المكان الغريب؛ معبدًا تم حفره في الجبل بعناية لا تصدق. تماثيل هائلة تم نحتها بحرفية شديدة على أجناب المعبد. ولكن اللافت للنظر هو أن هذه التماثيل لا تشبه التماثيل الفرعونية المعتادة!!

نعم.. التماثيل لأشخاص هائلي الحجم، مفتولي العضلات، ولكن ملامحهم مختلفة عن ملامح المصريين القدماء. فهو لم يشاهد من قبل القدماء وقد أطالوا شعر رأسهم أو لحاهم بهذا الشكل!! هناك شيء غامض في تلك التماثيل. هنا انتزعه الحاج عيسى من أفكاره وهو يقول:

- متفكرش كتير يا صابر. المكان اللي احنا فيه غريب. وعندك حق إنك تفكر مين أصحاب التماثيل الغريبة اللي على الحوائط. أنا نفسي ياما دخلت هنا وحاولت أفهم بالظبط إيه اللي بيحصل في المكان دا، ومين اللي قام ببنائه، ولكن كل محاولاتي فشلت. حتى البعثة اللي زارت المكان محدش منهم قدر يفهم بالظبط مين اللي بناه، ومين أصحابه، وإيه الهدف من بنائه من الأساس.

قال له صابر وهو ما زال في ذهول من عظمة المكان:

- يا خال، التماثيل دي مش شبه أي تماثيل شوفتها قبل كدا.

قال ذلك وهو يشير إلى أحد التماثيل الهائلة التي تم نحتها من حجر غريب.

- حتى شوف التمثال دا، شوف لون الحجر الأخضر عامل إزاي.. دا كأن التمثال هيتحرك من مكانه في أي لحظة!!

ابتسم الحاج عيسى قائلًا:

- متقلقش، دا هيحصل حالًا

وتوقف الجميع أمام أحد التماثيل هائلة الحجم، وتقدم

الحاج صابر وهو يخرج قطعة حجرية صغيرة بجوار قدم التمثال الأخضر، ويضعها في راحة يد التمثال، ويشير للجميع أن يعودوا إلى الخلف.. وبالفعل تراجع الجميع للخلف..

وأمام أعينهم الذاهلة كان التمثال يتحرك ناحية اليسار بحركة انسيابية غريبة؛

ليكشف من خلفه حجرة هائلة الحجم يتوسطها تابوت حجري.. وتقدم الجميع للداخل، وأشار الحاج عيسى إلى السيدات أن يضعن الفتاة داخل التابوت، وهو ما تم بالفعل..

صابر ينظر إلى الفتاة النائمة في هدوء ملائكي جميل، وقلبه يعتصره الحزن على حالتها المزرية، وهو يأمل أن ينجح هذا العلاج..

تحرك الحاج عيسى ومعه أحد معاونيه في أرجاء المكان.. وبدت على صابر ملامح الدهشة مرة أخرى وهو يشاهد الرسومات الغريبة التي تملأ الجدران.

رسومات يظهر بها أشباه بشر. نعم هم ليسوا بشرًا؛ فبشرتهم الخضراء - التي تشبه بشكل كبير التمثال هائل الحجم القابع على باب هذه الغرفة - تؤكد أنهم ليسوا مثلنا.

الرسومات تمتد لتوضح هذه الكائنات خضراء اللون وهي تقف أمام المصريين القدماء بملابسهم المعروفة، مع فوارق واضحة في الحجم. ويتصافح الجميع في حالة من الود والسرور.

أطفال صغار تم رسمهم بعناية شديدة جدًا، يضحكون ويلعبون أسفل الحائط.

تحرك صابر بضع خطوات وهو يستكمل الرسوم العظيمة؛ ليشاهد أحد الكائنات يقف مع أحد أفراد المصريين القدماء وأمامهما التابوت.. نعم هو نفس التابوت الذي ترقد فيه روان الآن. ولكن مع اختلاف أن التابوت المرسوم على الحائط كان يخرج منه ضوء أزرق ساطع، بينما التابوت الجاثم أمامه من مادة أشبه بالرخام، ولكن بلون أسود قاتم..

الرسومات كانت جميلة للغاية، وكأنها تسرد تاريخًا منسيًا تمامًا.. أو تم نسيانه عن عمد..

ولكن صابر انتفض في عنف وهو يقترب من أحد أركان الحائط.. فما كان يظهر خلف جموع المصريين القدماء كان شيئًا مختلفًا تمامًا.. ففي أقصى الجانب الأيسر كان يقف كائن ما على أطرافه الخلفية.. أطراف غير بشرية على الإطلاق.. ويتدلى من مؤخرته ذيل طويل مدبب.. ونصف الجسد الأعلى يشبه البشر، ولكنه مغطى بشعر أسود كثيف.. والرأس مثلث الشكل، يعتليه قرنان صغيران.. وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة مرعبة.. وأعين حمراء جهنمية..

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

قالها صابر وهو يتراجع إلى الخلف في قوة بعدما شاهد هذا الشيطان المرسوم بدقة متناهية..

كانت الأسئلة تغلي في عقل صابر، وهو يتابع الحاج

عيسى ومعه مساعدوه وهم يستخرجون إحدى المومياوات المصرية، ويقومون بتهشيم وطحن أجزاء منها في بعض الأوعية الفخارية....

ولكن صابر - وبشكل لا إرادي - عاد مرة أخرى إلى الرسومات الغامضة.. كان يحدق في أعين ذلك الشيطان وهو يكاد يجزم أنه يشعر بلهيب تلك الأعين الحمراء الجهنمية..

ما هي الرسالة التي يريد من قام برسم هذه الرسومات أن يوصلها لنا؟!

لماذا يقف الشيطان ضاحكًا على بعد واضح من البشر ومن هذه الكائنات الخضراء؟!

وما هي هذه الكائنات الخضراء من الأصل؟ وما الذي أتى بها إلى هنا؟

ولماذا لم يذكرها التاريخ؟؟

مئات الأسئلة كانت تتصارع في عقل صابر وهو يتجول في هذه القاعة.

ولكنه توقف مرة أخرى أمام رسم في منتهى الغرابة!!

فعلى الحائط كان يقف أحد ملوك المصريين القدماء وأمامه يسجد أتباعه في احترام هائل.. ولكن خلف الملك كان يقف رجل متوسط الطول، وقد انحنى وكأنه يخبر الملك بشيء في أذنه.. ولكن هناك شيئًا صادمًا في تلك الرسومات؛ فذلك الرجل الواقف خلف الملك - ورغم ملامحه البشرية الخالصة -

ولكن عينيه متقدتان بلون أحمر مرعب!! إنه ليس بشرًا

- يا الهي..

تمتم بها صابر بصوت خفيض وهو يتأمل باقي الرسومات، وعقله يحاول تفسير الرسومات الغامضة الموجودة على الحوائط..

مرة أخرى يحاول صابر جاهدًا تفسير ما يراه أمامه.

فباقي الرسم يوضح أن الملك الجالس على عرش ما ويقف خلفه ذلك الشيطان المتمثل في شكل بشري، ويهمس في أذنه بابتسامة خبيثة.. يرفع الملك يده اليمنى أمامه.. لتتضح الرسومات بشكل أكبر.. فهناك عدد من البشر قد فقدوا رءوسهم بإشارة من الملك الجالس على العرش..

هنا تراجع صابر مرة أخرى وذهب ناحية الحاج عيسى قائلًا.

- أنت شوفت الرسومات دي يا خال؟

صمت الحاج عيسى لبرهة من الوقت وهو يستكمل جمع مواد أمامه في عناية، حتي أن صابر كرر عليه السؤال مرة أخرى:

- يا خال أنت شوفت الرسم اللي على الحوائط؟

هنا أجابه الحاج عيسى بدون أن ينظر إليه قائلًا:

- أيوه يا صابر أنا شوفت الرسومات، شوفتها كتير، أكتر مما

تتخيل، كل مرة كنت بوصل لنتيجة واحدة.

سأله صابر في لهفة:

- إيه هي النتيجة؟

أخذ الحاج عيسى نفسه بصوت مسموع وهو ينظر إلى صابر قائلًا:

- إن اللي قام ببناء هذا المكان. لم يكن بشرًا يا صابر.

ولم يتفوه صابر بأي كلمة، وإنما ساد الصمت تمامًا، صمت مغلف بالخوف.. والغموض.. ورائحة تزكم الأنوف..

رائحة الموت!!

*****

مرت الدقائق سريعًا والحاج عيسى ومعاونوه ما زالوا عاكفين على خلط مسحوق المومياء

بعدد آخر من المواد الغريبة.. حينما بدأت روان تتأوه بصوت مسموع..

هرول إليها صابر مسرعًا وهو يتحدث إليها بهدوء قائلًا:

- متخافيش يا ست روان. أنا صابر البرديسي السواق.

حاولت روان أن تتحرك من مكانها، وعيناها تجوبان أركان التابوت الحجري في فزع وخوف، ولكنها تأوهت في ألم شديد، حينما أبى جسدها أن يتحرك. حتى عيناها كانت رؤيتهما ضبابية مشوشة.

ربت صابر برفق على كتفها وهو يحاول أن يهدئ من روعها قائلًا:

- أقسم لك بالله أنك هنا من أجل علاج هام، وهو آخر أمل لكِ كي تعودي إنسانة طبيعية.

لم تستطع روان أن تجيبه، أو أن تعيد الكرة وتحاول أن تتحرك من مكانها، وإنما صمتت تمامًا. ليس بسبب ما اخبرها به صابر منذ لحظات، ولكن لسبب غريب تمامًا.

فقد كانت روان وبشكل مفاجئ تتلقي ما يشبه إشارات عقلية، ورؤى مختلفة.

ورغم ضعف بصرها الشديد نتيجة الحادث. كانت روان تشاهد شيئًا ما في سقف القاعة. كانت تشاهده كرؤية عقلية واضحة. ومع رؤيتها كانت تشعر بألم شديد في منتصف جبهتها تمامًا، ألم تذكرت الآن أنها مرت به من قبل وهي في المستشفى، حينما كانت في ذلك الطريق المظلم الذي يحمل الضوء في نهايته..

كانت روان تشاهد أحداثًا غريبة وكأنها تشاهد مسرحية قديمة. رؤيتها كانت واضحة تمامًا، رغم أنها مغمضة العينين.

أشخاص يسجدون في خضوع تام أمام أحد الملوك الذي يرتدي ملابس لا تمت لملابس المصريين القدماء بصلة.

رداء من قطعة واحدة، ذهبي اللون به خطوط سوداء لامعة.. ولكن مهلًا.. إن بشرة هذا الملك مختلفة تمامًا عن

بشرتنا الطبيعية؛ فالرجل بشرته لونها أخضر قاتم. وبجواره يجلس ملك آخر يحمل في يده عصا ذهبية اللون، تتناثر من قمتها شرارات غريبة الشكل. ويدور بين الملكين حديث ضاحك وهما يشيران إلى ذلك الجسد الهزيل الذي تم قيده وإشعال النيران من أسفله، وصاحب الجسد الهزيل يصرخ.. يصرخ بصوت غير بشري تمامًا.

وكفيلم سينمائي اقتربت الرؤية من صاحب الجسد الهزيل؛ لتصعق روان حينما تتأكد من أن ذلك المخلوق ليس بشريًا من الأساس، وإنما هو شيطان. شيطان كما تناولته كل القصص والأساطير.

كانت روان تحاول أن تفهم طبيعة التجربة الغريبة التي تعيشها. هل هي تهذي، أم أنها رؤية حقيقية تتلقاها عبر عينها الثالثة؟! غريب هذا المصطلح! من أين لها به؟! العين الثالثة! الغدة النخامية أو الفص الصنوبري. المسئول عن القدرات الخارقة للبشر، يتواجد تمامًا في منتصف الجبهة. هذه المعلومة من الأساس هي لا تعلم مصدرها، ولكنها ترددت في جنبات عقلها بصوت مسموع. كان كل شيء مرتبكًا مشوشًا. هي لا تدرك حقيقة ما يحدث لها. كل ما تدركه هو أنها ليست على ما يرام على المستوى العقلي أو الجسدي، أو حتى النفسي.

الرؤية تعود لها مرة أخرى. والملك المصري ينظر إلى الملك الجالس بجواره صاحب البشرة الخضراء، ويهمس له بكلمات موجزة، وبعدها يشير الملك المصري ناحية الشيطان المقيد؛

ليقوم الأشخاص المحيطون به بإشعال النار أكثر وأكثر، وسط صرخات هائلة من الشيطان الذي يتآكل لحمه وعظامه بشكل مقزز.. ولكن الشيطان توقف عن الصراخ فجأة.. توقف وهو ينظر إلى الملكين في غضب هائل. وقال كلمات بلغة غير معروفة لروان، ولكن الأمر المرعب أن روان فهمتها.. فقد كان الشيطان يقول في غضب:

- لن تكون نهايتي، فقد زرعنا بينكم من بإمكانه إنهاء ما بدأته أنا..

وضحك الجسد الشيطاني في سخرية، ضحك والنيران تلتهم البقية الباقية من جسده، وتحولت ضحكاته إلى مزيج مجنون من الضحك والصراخ، إلى أن تفحم تمامًا.. وقبل أن يتحرك الملكان من على عروشهما، بدأت الأصوات تتعالى. أصوات أسراب هائلة من الطيور غطت السماء تمامًا وسط خوف وفزع الجنود والمواطنين.. وبشكل مرعب اقتربت هذه الطيور من الأرض لتظهر على حقيقتها.. أجسام أشبه بأجسام الخفافيش. ورءوس شيطانية مرعبة.. ومخالب حادة تمزق أوجه وأجساد كل الموجودين....

وبشكل تلقائي صرخت روان وهي تشاهد أحد هذه الطيور وهو يكاد أن يلمس وجهها.. ولكن ما أنقذها هو ذلك الشاب كثيف اللحية طويل الشعر، الذي أبعدها جانبًا وهو يصوب عصاه ناحية الطائر القريب منه مطلقًا منه شرارة بيضاء دمرت الطائر الشيطاني تمامًا...

وبابتسامة حنونة ربت على رأسها، ثم تركها مسرعًا ليكمل قتاله مع تلك المخلوقات...

وقبل أن تتحرك من مكانها، كانت روان تشعر باختناق شديد.. أنفاسها تغيب.. هي تفقد رؤيتها في هذا المكان.... أنفاسها تتقطع.. تغيب عن الوعي بهدوء.... وساد الصمت..

في تلك اللحظات كان الحاج عيسى ينفذ آخر خطوات علاجه الغامض لروان، بعد أن قام بطحن أجزاء من مومياء لسيدة مصرية قديمة. وخلطها بدماء القادمين من السماء الخضراء، ووضعها في فم روان.. كانت الفتاة تجاهد حتى تلتقط أنفاسها... حتى أن صابر صرخ في رعب:

- البنت هتموت يا خال.. بالله عليك يا خال شوفها مالها..

ولكن الحاج عيسى لم ينظر له من الأساس وهو يكمل ما يقوم به.. كان يعلم أن مقاومة جسد الفتاة لهذا الخليط الغريب سوف تظهر نتائجه خلال دقائق..

لذا أمر الحاج عيسى الجميع بأن يعودوا للخلف. وهو يخرج كانوبًا فرعونيًا صغيرًا، ويقوم بنثر ما يحتويه من مادة ترابية على جسد الفتاة.. ثم يتحرك مسرعًا ويضغط إحدى حواف التابوت.. ليتحرك الغطاء ويغلق على روان تمامًا...

وتخرج من أسفله أضواء مبهرة...

صابر يحدق في كل ما يحدث في بلاهة..

وروان بداخل التابوت المغلق بإحكام....

والحاج عيسى يشير للجميع أن يتبعوه....

حاول صابر أن يعترض، ولكن الحاج عيسى أخبره أن الأمر سوف يطول، والفتاة سوف ترقد في التابوت لعشر ساعات بشكل متواصل....

ومع محاولات صابر اليائسة أن يظل مع الفتاة، كان لزاما على الحاج عيسى أن يصرخ فيه؛ لكي يقوموا بإغلاق القاعة.. وترك الفتاة حتى تشفى مما ألم بها....

وخرج الجميع من القاعة.. بل وغادروا المكان كله.

وصابر يرجو الله أن تتم عملية علاج روان على خير.. أو حتى أن تبقى على قيد الحياة...

في نفس اللحظة كانت روان في عالم آخر تمامًا..

هي لا تدرك تحديدًا هل هي في ماضٍ أو مستقبل.. أو تتلقى مشاهدات من بعد موازٍ..

كل ما تعلمه أن هناك شيئًا يتغير في جسدها...

شيئًا يعبث بعقلها وبجسدها...

وكانت هناك مئات الثعابين الصغيرة تخترق ذلك الجسد الضعيف.

حرارة هائلة تلك التي تشعر بها روان. ورغم كل هذه الآلام المبرحة، كان جزء من عقل روان يتلقى مشاهدات غامضة، فهي ترى نفسها تجلس بجوار نفس الشاب الذي أنقذها من

الطائر الشيطاني منذ قليل..

ولكن هذه المرة ملابس الشاب ملطخة بالدماء.. وإصابات عدة تظهر على وجهه وجسده.

وهو ينظر لها بحزن شديد ممسكًا يدها وهو يقاوم بشدة آلامه العديدة:

- يجب أن تنجي يا (توليا)، يجب أن تقاومي جراحك...

نظرت له في استغراب قائلة: أي جراح يا (نيراف)؟

أشار إلى كتفها الأيسر وهو يقاوم تلك الدمعة التي سالت رغمًا عنه...

وهنا أدركت روان أنها تعيش ماضيًا لشخصية ما تدعى (توليا)، وأن هذه الشخصية أصيبت إصابة بالغة، وعلى وشك أن تفقد حياتها....

ولكن شعورها الحالي كان الخوف على ذلك الرجل الذي يدعى (نيراف). حاولت أن تخبر الشاب المصاب أنها بخير، وأنه أيضًا سوف يكون بخير.. ولكن الشاب أمسك بيدها وهو يبتسم بصعوبة بالغة قائلًا:

- لقد كنتِ لي الحياة التي طالما حلمت بها.. لقد أدركت فائدتي في هذه الحياة وأنا بجوارك، وإن كنت سأفارق هذه الحياة الآن، فإن ما يحزنني هو إني سوف أنتظر طويلًا لأراكِ في حياة أخرى.. وما يسعدني أن آخر ما سوف أراه هو وجه حبيبتي..

قالها وهو يلقي برأسه على كتفها...

وبكت توليا. بكت وهي تربت على رأس نيراف بكل حنان الدنيا، وهي تهمس في أذنه في هدوء: لك عهدي يا نيراف؛ لن أكون لسواك، وسوف أبذل المستحيل للحفاظ على وعدي لك... أن أعيش وأنتقم لك من هؤلاء الشياطين...

ولم يجبها نيراف.. الذي فارق الحياة..

وصرخت توليا.. صرخت على فقدان حبيبها الذي فارق الحياة....

روان كذلك كانت تصرخ بمنتهى العنف، وهي تعيش نفس ما عاشته توليا.. كانت روان تبكي وتصرخ بألم ممزوج بالحزن على وفاة حبيبها نيراف.. أو هكذا كانت تشعر....

واستمرت الصرخات.. إلى أن غابت عن الوعي تمامًا.. غابت عن وعي روان. ولكن وعي توليا كان يولد من جديد داخل عقل روان... محملًا بذكريات ومعلومات ومشاعر وأحاسيس قادمة من أعمق أعماق التاريخ.. تاريخ لم يتحدث عنه أحد من قبل.. تاريخ تعاون فيه المصريون القدماء مع القادمين من السماء؛ - أصحاب الدم الأخضر - لصد الغزو الشيطاني للأرض... تاريخ يتمثل حاليًا في وعي توليا..... أو روان...

****

بعد مرور العشر ساعات توجه صابر رفقة الحاج عيسى للاطمئنان على روان..

في الطريق كان صابر متوترًا للغاية وهو يمني نفسه أن تتحسن حالة روان.. وتمتم بصوت مسموع قائلًا:

- يا رب جيب العواقب سليمة...

سمعه الحاج عيسى وربت على كتفه قائلًا:

- لا تقلق يا صابر. علاج الأجداد لا معيل له. الفتاة سوف تتحسن حالتها.

- يا رب.. يا رب يا حاج عيسى..

بعد دقائق وصل الجميع إلى مكان روان.. وبنفس الخطوات السابقة. دلفوا جميعًا إلى القاعة.. والتابوت الذي ترقد به روان...

وفتح التابوت بهدوء شديد، لتظهر روان وهي تحدق في وجوه الجميع في ذهول تام، ومن بعدها انطلقت صرخاتها في جنون..

كانت الفتاة تصرخ في رعب وجنون حقيقيين وهي تحاول أن تغادر التابوت..

والحاج عيسى ومعاونوه يحاولون أن يهدئوا من روعها..

وانتفضت روان.

مرة.. ومرة.. ومرة..

ثم انتهى كل شيء بشكل مفاجئ. وأغمضت الفتاة عينيها..

صابر يقف في ذهول ورعب، وعيسى ومعاونوه بدت عليهم

ملامح الخوف لأول مرة..

وصابر يتمتم بصوت خفيض: إيه اللي حصل يا حاج عيسى؟ البنت ماتت ولا إيه؟

نظر له الحاج عيسى نظرة غاضبة وهو يشيح بوجهه، ويذهب مسرعًا ناحية عدد من الكوانيب والأواني القديمة؛ ليخرج من أحدهم مادة لونها أحمر قاتم، ويقوم برشها على رأس روان وباقي جسدها...

وما هي إلا لحظات

حتي بدأت روان تنتفض مرة أخرى.. ولكن هذه المرة لم تكن كسابقتها. فقد كانت تنتفض وهي تحرك عينيها وتتأمل الواقفين بجوارها..

وما أثار الرعب في نفس صابر والمحيطين به. هو لون عينيها الغريب. فالفتاة لم تعد عيناها كما كانتا من قبل. وإنما إحداهما قد تلونت بلون أخضر قاتم، وعينها الأخرى تلونت بلون أزرق..

وساد الصمت في القاعة..

والفتاة تنهض بهدوء وتغادر التابوت...

الجميع ينظرون إليها في دهشة. جسد الفتاة عاد إلى طبيعته تمامًا... بلا أي أثر لأي عمليات سابقة أو حتى أثر بسيط للخدوش التي سببها الحادث..

- ما شاء الله! ما شاء الله!!

قالها الحاج عيسى وهو يشاهد الفتاة، وقد استعادت وعيها، وبريق شبابها..

ولكن مهلًا.. فالفتاة تنظر له الآن؛ لكي يشاهد الجميع الأعين التي اصطبغت بألوان غريبة..

ولم يكن هذا كل شيء.

فقد كانت عينا الفتاة تهتزان يمينًا ويسارًا بشكل غير طبيعي..

وغلف الصمت المكان تمامًا. إلا من صوت أنفاس صابر الذي كان غير مصدق لما يشاهده. الفتاة تناولت ملابسها وارتدتها في سرعة. ولم تلتفت للجمع الذي يحدق بها.

وتركت الجميع وذهبت إلى المكان الذي تقف فيه الأواني والكوانيب المصرية القديمة، وكأنها قامت بهذا الفعل مئات المرات من قبل.

أخرجت بعض السوائل من مادة ما، وخلطتها بقنينة رمادية اللون، وقامت بمزج بعض المواد الأخرى في سرعة.. وسط ذهول الحاضرين...

وبعد دقائق انتهت من كل شيء.. وبدأ غاز يتصاعد من الخليط العجيب الذي قامت بمزجه.. وقامت روان بشرب هذا الخليط الغريب...

حاول صابر أن يمنع الفتاة من تناول ذلك المشروب الغريب، ولكن الحاج عيسى أمسك بيده وهو يشير له أن يتوقف...

روان تتنفس بصوت مسموع.. تنظر للجميع بابتسامة عريضة..

ثم تتحدث بلغة ما. تتحدث بها بطلاقة منقطعة النظير.. والجميع ينظرون لها في بلاهة حقيقية، غير مصدقين لما تتحدث به الفتاة التي كانت على وشك الموت منذ دقائق...

فروان الآن تتحدث – وبطلاقة - لغة أجدادها... اللغة الهيروغليفية..

الحاج عيسى ينظر في ذهول إلى الفتاة. إن ما يحدث أمامه هو شيء جديد وغريب لم يسمع به من أجداده...

كان صابر قد تعلم بعض الكلمات باللغة الهيروغليفية منذ طفولته. ولكن ما تتحدث به روان يفوق قدرته على الاستيعاب..

الفتاة تقول: إنها ممتنة لما قاموا به من أجلها.. ولكن الأمر لم يتم على أكمل وجه كما كانت تتمنى، وأنها لا ترى الواقفين أمامها بشكلهم الطبيعي؛ بسبب مشكلة ما أصابت أعينها الجديدة...

- أعينها الجديدة!!

كررها الحاج عيسى وهو غير مصدق لما تتفوه به الفتاة التي كانت تقف أمام الجميع في هدوء..

- إيه اللي صاب عينها يا حج عيسى؟! متفهمني.. والبنت بتحكي بلغة غريبة ليه؟!

قالها صابر وهو على وشك أن يبكي من الخوف.. ولكن الحاج عيسى كان ينظر إلى روان التي جلست على الأرض. ورأسها يهتز يمينًا ويسارًا، وجسدها يتمايل في هدوء، وهي تتفوه بكلمات غير مفهومة...

وهنا بدأ المكان يهتز..

جدران المعبد تتمايل في قوة.. وروان تكمل ما تقوم به..

الحاج عيسى هو الوحيد الذي تمالك أعصابه، وصرخ في روان أن تتوقف.. صرخ فيها بلغة القدماء..

والمعبد يكاد ينهار فوق رءوس الجميع..

الصرخات تتعالى من معاوني الحاج عيسى من رجال ونساء..

والحاج عيسى يحاول إيقاظ روان من حالتها الغريبة..

لقد أدرك أن سبب اهتزاز المعبد هو روان نفسها، وحاول أن يخرجها من تلك الحالة الغريبة..

وبعد عناء اهتزت روان للحظة وفتحت عينيها..

ونظر صابر والحاج عيسى لأعين الفتاة في رعب حقيقي.

فقد اصطبغت أعين الفتاة باللون الأبيض.... وكانت تنظر لهم وهي تبتسم..

ومع ابتسامتها توقفت الاهتزازات العنيفة في المعبد..

وجلس صابر على الأرض في رعب

وهو يتساءل عما حدث لروان..

نعم.. ما الذي حدث لروان... أو من كان يعرفها يومًا ما روان..؟؟

(الموجة الثالثة): (المجنون)

- إن ما تتحدث عنه خطير يا (هيكار)

قالها نادر بصوت خفيض للغاية وهو يتلفت حوله ليتأكد أن لا أحد يراقبه، ثم أكمل بنفس الصوت الخفيض:

- أنت تخبرني أننا يجب أن نذهب إلى منطقة مجهولة في الصحراء الكبرى، في رحلة بلا عودة من أجل أن نحارب الزواحف، ونغلق عليهم إحدى الفجوات التي يعبرون منها إلى الأرض.. وأنت تعلم جيدًا قوتهم الهائلة، وأنهم مسيطرون على العالم. ألم ترَ كيف يسيطرون على الدول العظمى؟!

الم ترَ ما الذي يفعلونه في كل من يحاول إفشاء أسرارهم؟!..

ولم يكمل نادر حديثه وهو يراقب الرجل الذي ينظر إليه ويضحك ساخرًا، ثم يكمل طريقه.. وتبعته سيدة ريفية تحمل ابنها على كتفها، وهي تحدق فيه. ثم وبحزن وأسف شديدين تقول: ربنا يشفيك ياخويا ويعفو عنك...

ابتسم (هيكار) قائلًا: لا تلتفت لهم ولا تحزن يا نادر، فهم لا يستطيعون رؤيتي مثلك.. ولكن نادر لم يستطع تخطي الأمر..

لم يستطع أن يمرر كلمات المارين مرور الكرام..

بل صمت تمامًا وهو يتذكر كل شيء..

وهو يتذكر لعنته الخاصة.. كم من مرة حاول فيها أن

يتخطى ما مر به يومًا ما.. كم تمنى لو كان إنسانًا عاديًا، يعمل في وظيفة ما، ويحدد مستقبل يحتوي على زوجة وطفلين يقوم بتربيتهما حتى يصل لسن المعاش، ثم يقضي حياته على المقهى المجاور لمنزله، إلى أن ينادى أمام المسجد على اسمه وأنه قد توفي.. سرح بخياله وهو يتخيل عدد المعزين.. ترى من سوف يكون هناك؟

أي من أفراد أسرتي سوف يتواجد؟ وكيف سيكون شعورهم؟ وهل سوف يبقى منهم من هو على قيد الحياة من الأساس؟ ومن من أصدقائي سوف يحزن على مفارقة صديقهم نادر زهران؟ ذلك الشاب الذي كان شابًا، ثم صار كهلًا، وعاد مرة أخرى لنقطة الصفر، ليكمل ما قدر له أن يعيش فيه..

كيف مرت السنوات على نادر بين عالمين. بين كائنات كان أقصى ما يتخيله عنها أنها مجرد خيال علمي يشاهده في الأفلام...

ولكنه هنا ليبرهن على صدق ما عاشه

هنا، ليثبت للجميع أن لا وجود للخيال العلمي، وإنما هو مثال حي متجسد على وجودهم.

وجود كائنات غريبة تعيش بيننا!!

بعضهم يتمثل في الشكل البشري، وبعضهم هو وعدد قليل من البشر من بإمكانه رؤيتهم.

الحن والبن.. الزواحف والشماليون... الرماديون وأجناس جوف الأرض.. والغزاة.. وبمنتهى حزن الدنيا سالت دموع نادر وهو يقول في خفوت:

- كم كنت اتمنى أن أكون مجرد إنسان عادي يا (هيكار)، كم تمنيت أن أعيش حياة طبيعية..

هز هيكار رأسه الضخم، وهو يربت على كتف نادر بيده صاحبة الثلاثة أصابع قائلًا:

- ليس كل ما نتمناه هو الشيء الحقيقي يا نادر،

ربما تتمنى شيئًا وتكتشف بعدها أنه كان مجرد زيف..

ابتسم نادر بسخرية وهو يشير إلى هيكار قائلًا:

- وكوني الآن أجلس أمام أحد كائنات ما بعد الجدار الجليدي.. بجسده النحيف، ورأسه المثلث، وعينيه الجاحظتين، وأجنحته التي تزين ظهره.. هل هو حقيقة أم زيف؟

ابتسم هيكار، وهو يقف أمام نادر مباشرة قائلًا:

- لا تحزن يا عزيزي..

صدقني.. فالدور الذي تقوم به هو دور هام للغاية.. وقد اختارك القدر لهذا الدور.. ويومًا ما سوف يعلم الجميع أهمية ما قمت به أنت وغيرك من بذور النجوم... أو من أصحاب الصفوف الأولى في هذا العالم... أراك قريبا يا نادر..

وفي لحظة ضغط هيكار على السوار الذي يحيط بيده؛ ليختفي من أمام نادر.

ووقف نادر يحدق في شكل مياه النيل الزرقاء الجميلة..

كم من الذكريات مرت على نادر وأصدقائه، وهو يأتي إلى هذا المكان بكورنيش النيل. وتحديدًا بساحل روض الفرج..

تلك المقاعد الرخامية التي شهدت أجمل أيام حياته..

كان دائم الحضور إلى تلك المنطقة تحديدًا، وكأنها تشعره بدفء الماضي الجميل.. إن أصعب ما قد يواجه الإنسان في حياته هو اتهامه بالجنون.

والشيء المؤسف هي قناعاتك المؤكدة بأنك إنسان عاقل. بل وعاقل إلى حد لجوء كائنات أخرى إليك تحديدًا.. من أجل أن تخوضوا معًا مهمات لإنقاذ الكوكب..

- إنقاذ الكوكب. كررها نادر بصوت عالٍ وهو يضحك.. حتى أن الرجل الواقف على محطة الأتوبيس ابتعد بضع خطوات في خوف من نادر.. هل لهم الحق أن يخافوا من نادر؟ هل لأنه أطلق شعر رأسه ولحيته...؟ هل هذا سبب كافٍ، أم لأنه أصبح مثل المجاذيب الذين يسيرون في الشوارع على غير هدى..

كانت الأفكار تدور في رأس نادر وهو يسير على كورنيش النيل.. وبكل أسف يتحدث مع نفسه بصوت عالٍ للغاية..

ملابسه الرثة وجسده النحيف، كانا يضفيان عليه صبغة

مجنونة بلا شك.. ولكن هل هو فعلًا مجنون..؟ أم أنه من المعاريض؟!(1)

كان نادر يتأمل في ملامح الرجال والنساء الذاهبين لوظائفهم، والأطفال الذين يركضون مسرعين بملابس المدرسة..

أما نادر، فلم تعد له وظيفة حقيقية..

من وقت لآخر كان يعمل في مجال التسويق بعد أن ترك الصحافة.

أشعل لفافة تبغ وهو يقفز فوق الحاجز الحديدي للنيل، ويهبط الدرجات الصخرية المغطاة بالطين، ثم يسير بهدوء بين أعواد البوص التي تغطي مساحة كبيرة من الشاطئ؛ ليصل إلى مكانه المعتاد بجوار أعمدة كوبري الساحل...

مملكته الجميلة التي يرتاح بتواجده فيها..

قليلًا ما ناوشه بعض متعاطي المخدرات.. ولكن بعد فترة تركوه لحاله.

تخيل أن متعاطي المخدرات أنفسهم أصابهم الخوف من ذلك الرجل الغريب المدعو نادر زهران.

****

- أنا في منتهى الأسف لما وصلت إليه..

نعم.. أنا بالفعل أسأل نفسي كل يوم؛ لماذا.. وكيف.. ومتى..

لماذا يحدث لي كل ذلك؟!

وكيف وصلت إلى ما أنا عليه الآن؟!

ومتى ينتهي هذا الكابوس؟!

كل تجاربي الغريبة التي مررت بها، لا بد أن لها هدفًا ما. لا بد أن هناك ما سوف يحدث، وأنني مشارك فيه بشكل أو بآخر..

مستحيل أن يكون ما يحدث لي هو مجرد مصادفة، وسوف تنتهي، وأعود لحياتي الطبيعية..

ولكن، أين هي حياتي الطبيعية؟! لقد فقدت كل شيء؛ الأصدقاء.. والأسرة.. حتى نظرات الناس باحترام وتقدير - لكوني مجرد إنسان - فقدتها أيضًا.

ولم يعد هناك سوى بقايا إنسان. بقايا إنسان فرض عليه أن يكون مختلفًا.

من قال أن الاختلاف - أو حتى محاولة البحث عنه - هو شيء ممتع ومهم؟!

الحقيقة أن كونك إنسانًا عاديًا جدًا - بلا أي إضافات أو توابل - هو وشيء عظيم..

هنا توقفت لوهله وأنا أكرر كلمة توابل.. أي سخف هذا الذي أتحدث عنه؟! هل هناك شخص بدون توابل؟ معني ذلك أن هناك شخص بالشاميل، أو شخص آخر باللحمة المفرومة..

وبدأت أضحك في جنون.. بصوت عالٍ للغاية.. كنت أضحك غير عابئ بنظرات المارين على النيل، الذين يشاهدون الرجل المجنون الذي يضحك ويتحدث مع نفسه.

ووسط ضحكاتي لفتت نظري تلك الحقيبة السوداء التي تحركها موجات المياه في هدوء شديد.

دققت النظر لكي أتأكد أنها بالفعل حقيبة حقيقية، وليست من أكياس المهملات السوداء التي تجوب نهر النيل مثل قناديل البحر.

اقتربت من الحقيبة... وأنا أمسك بعود من البوص.. وحاولت الوصول إليها. وبعد عدد من المحاولات. حصلت عليها.

واضح تمامًا أنها متواجدة في المياه منذ وقت قريب..

لماذا قررت ذلك؟! لا تسألني يا عزيزي. ربما بسبب حالة جلدها الأسود الذي ما زال يحتفظ ببريقه، أو ربما لسبب آخر أنا لا أعلمه من الأساس.

المهم أنني قررت أن أعود بالحقيبة إلى المنزل..

في طريقي للمنزل حصلت على بعض الشطائر من (عمرو) صاحب أفضل فول على الإطلاق في كوكب شبرا..

نعم شبرا هي كوكب جميل بكائناته وشوارعه وأزقته،

ولكم من مرة حاولت أن أغادر ذلك الكوكب، وكل مرة أعود إليه بسبب جاذبيته الهائلة.

انتهيت من تناول الشطائر، وبدأت أحاول فتح الحقيبة.. ولم تقاوم أقفالها كثيرًا..

وضاع حلم الثروة الطائلة التي تمنيت أن أجدها داخل الحقيبة في ثوان معدودة..

فما كان بالحقيبة هو عدد من الأوراق، وجواز سفر..

(رأفت زيدان السروي)

المهنة: طبيب.

محل الاقامة: 4 شارع الزهور المهندسين.

حاولت أن أبحث عن أي دليل يقودني إلى صاحب هذه الحقيبة..

وبدأت أحاول أن أتخيل كيف وصلت هذه الحقيبة إلى نهر النيل..

الاقتراح الأول: أن صاحب الحقيبة تعرض لحادثة وسقط هو وحقيبته في النيل، وربما فارق الحياة..

الاقتراح الثاني: أن يكون هو بنفسه قد القى الحقيبة.. ولكن لماذا يلقيها بأوراق تشير إلى شخصيته؟! بل وربما أيضًا إلى عنوانه الذي يظهر أمامي في كارت صغير مدون به بعض التفاصيل عن عيادة د/ رأفت، وعنوانها، ورقم هاتفه..

تركت الأوراق وأنا أفكر في خطورة الاتصال بالرقم المدون في الكارت.

ربما الرجل قد توفي وأن الحقيبة سوف تدل عن من قتله..

ابتلعت لعابي بصعوبة وأنا أتخيل أن يكون هذا الطبيب قد تم قتله بطريقة ما، وإلقاؤه في النيل مع أشيائه..

المشاكل تبحث عني في كل مكان. وأنا أمام إحدى هذه المشكلات، ويجب أن اتخذ القرار.. هل أقوم بالاحتفاظ بالحقيبة وأتجاهل الموضوع، أم أعود وأقذف بها في النيل وأتناسى كل شيء، أم أتصل بالهاتف المدون أمامي وأتحمل كل شيء؟

الأصوات بداخلي تتصارع

بين الخوف من الاتصال وأن أتعرض لخطر من نوع ما. وهو ما لم – ولن – أتحمله، أو أن أتمالك نفسي وأتصل بالرقم وأعرف ما سوف يحدث حينها..

ربما الرجل بحاجة إلى تلك الأوراق وجواز سفره..

فركت ذقني النامية وأنا في حيرة من أمري.. هل اتصل، أم أتجاهل كل شيء؟!

****

تدخل من المؤلف..

عزيزي القارئ، ماذا تفعل لو فكرت بعقلانية وتقمصت شخصية نادر زهران، وأنت تقرأ هذه الأسطر في تلك الرواية التي لا أعلم لماذا حصلت عليها من الأساس؟ لو وجدت تلك الحقيبة وأنت شخص محاط بالمشكلات، هل تتواصل مع صاحبها، وتتحمل تبعات المخاطرة، أم تتخلص من الحقيبة حتى لا تفتح بابًا جديدًا من المشكلات؟...

دع فنجان القهوة الذي تحتسيه - أو كوب الشاي – جانبًا، واتخذ قرارك الآن.

هل فكرت جيدًا؟ هل تتواصل مع الرقم الذي وجده نادر داخل الحقيبة؟ هل تتحمل المخاطرة؟

أم تبتعد عن كل الشرور وتتخلص منها؟؟

حسنًا، أيا كانت اختياراتك فهي مبنية على حالتك العقلية والنفسية... التي من المفروض أنها سوية..

ولكن التمس العذر لنادر في اختياراته فهو غيرك وغيري... ولنا عودة، وعذرًا للمقاطعة، وبإمكانك الآن استكمال الرواية..

****

كانت الأفكار تتصارع في رأسي بين الاتصال بالرقم الواضح أمامي، أو أتجاهل كل شيء..

وبعد تفكير عميق. تغلب الجانب الخير بداخلي، وذهبت إلى الهاتف الأرضي، وقمت بالاتصال برقم العيادة المرفق في بطاقة الهوية..

صوت أزيز متقطع على غير العادة

أنا أعلم هذا الصوت.. هو صوت تحويل الهاتف الأرضي إلى خط الفاكس..

حاولت مرة أخرى وكانت نفس النتيجة..

سوف أتخلص من الحقيبة.. كان قراري بالاتصال هو أمر خاطئ من الأساس.

سوف أجرب الاتصال للمرة الأخيرة، على أن تكون هذه المرة هي الفاصلة....

صوت الأزيز الممطوط..

حسنًا، قضي الأمر.. وقبل أن أغلق الخط، انطلق الصوت الأنثوي من الناحية الأخرى:

- عيادة الدكتور رأفت زيدان مع حضرتك.

كررت كلماتها مرة أخرى..

وصوت بداخلي يرجوني أن أبتعد وأغلق الخط..

- اهرب يا غبي.. اهرب قبل فوات الأوان.. شجاعتك لا محل لها من الإعراب.. اهرب قبل فوات الأوان...

ولأنني أغبى من أن أستمع لصوت العقل بداخلي، أو صوت

الكائن المجهول الذي يسكنني، لم أنصَع للتحذير..

- أيوه. أنا حابب أقابل دكتور رأفت من فضلك.

الفتاة تجيب وهي تلوك علكتها في صوت مسموع:

- حضرتك الدكتور موجود في العيادة من الساعة الثامنة حتى الساعة الحادية عشر، إذا حابب احجز لحضرتك، ياريت الاسم بالكامل..

أجبتها بنفاد صبر حقيقي:

- يا مدموزيل أنا عاوز أقابل الدكتور لأمر شخصي تمامًا، أنا مش مريض.

أجابتني الفتاة، وهي تمنع ضحكتها الواضحة:

- يا فندم وفيها إيه لما تكون مريض!.. كلنا مرضى ولكن بنسب مختلفة..

هنا لم أتمالك نفسي وبدأت أصرخ فيها:

- يا بني أدمة بقولك أنا مش مريض، أنا لقيت شنطة فيها ورق وحاجات تخص الدكتور رأفت، وأنا بتصل عشان أسلمهاله.. هتقعدي تديني دروس ومواعظ، وكلنا مرضى، وكلنا بتنجان!.. لما يبقى يوصل الدكتور عرفيه إني لقيت شنطته، وأنا اسمي نادر زهران..

ورقمي هو 2043960 وأغلقت الهاتف..

أغلقته وأنا أشعر بدوار شديد بدون أي سبب واضح..

ارتميت على الفراش وأنا أقاوم بشدة الدوار الذي يكتنف عقلي..

أنا أعلم ما سوف يحدث..

أعلم أن هناك تواصلًا من كائن أو كيان ما في الطريق..

لقد أصبحت مثل المطار.. نعم المطار الذي يجب أن تهبط فيه الطائرات بين الترانزيت، أو كخط لنهاية الرحلة..

وبعد ثوان..

كان الصوت يتردد في عقلي ليمحو بعض من الضباب المحيط به..

ويظهر الصوت بوضوح، وأعلم معه أن هذا القادم كان أحد الكيانات المتسامحة الجميلة..

كيان يعيش خارج نطاق البعد البشري الطبيعي، بل وخارج كل الأبعاد والقوانين المعروفة..

خارج الزمان.. والمكان..

- أهلًا بك يا نادر.

حوارنا يتم بالرسائل العقلية، أو التخاطر بمعني أدق..

- أهلًا بك يا (أجور)، مر وقت طويل منذ أن التقينا..

قاطعني وهو يكمل بشكل سريع، وكأنه لم يسمعني أصلا:

- أعلم أن استدعائي لك بهذه السرعة هو أمر غير معتاد،

ولكن حقًا أنا في حاجة إلى أن أوصل لك رسالة واضحة..

أنت تعلم أننا خارج النطاق المعروف للزمن وللحياة المعتادة لكم على الأرض، وأننا نتواصل فقط مع بعض البشر.. ولكن هذه المرة الأمر جلل يا نادر.. هناك خلل واضح في خط السير الطبيعي للزمن وللأحداث في عالمكم.. خلل لن يتم إصلاحه إلا بتدخلك فيه..

هنا ضحكت بشدة، وأنا أستمع لجملة أن إصلاح الخلل سيتم عن طريقي، وقاطعته قائلًا بنفس الرسائل العقلية:

- إذا كنت أنا نفسي غير قادر على إصلاح الخلل الذي أصاب حياتي، فكيف سأكون سببًا في إصلاح خطأ في الزمن؟!

قاطعني مرة أخرى قائلًا:

- أنت لم ولن تفهم كيف تدار الأمور، وكيف نعمل في المجال الأعلى على حفظ التوازن على كل الكواكب وبين كل الأبعاد..

يجب أن تنصت لي جيدًا.. كل ما هو قادم يحدث بشكل غير صحيح.. هناك فيض هائل من الاختلال، ويجب أن نتداركه، لذلك يجب أن تذهب بنفسك لتقابل الطبيب الذي وجدت حقيبته، ولا تسأل عن ما سوف يحدث، لأني لو أخبرتك فسوف يتغير الأمر برمته.

كل ما أطلبه منك أن تضع أحاسيسك وأفكارك جانبًا، وتنصت لي..

فذهابك إلى الطبيب سوف يؤدي بدوره إلى عودة الأمور إلى نصابها الصحيح..

اذهب إليه بنفسك، ولا تفكر في التخلص من الحقيبة.

وسوف أحاول أن أتابعك أو على الأقل أعطيك بعض الإشارات التي قد تفيدك مستقبلًا..

وداعا..

قالها وبدأ الضباب ينقشع من جنبات عقلي، ساحبًا في طريقه الدوار العنيف الذي رافقني منذ قليل.

اعتدلت في جلستي وأنا أشعل لفافة تبغ، وأفكر في هذا اللقاء السريع الغريب..

ذلك الكائن الذي تحدث معي، أنا أعلم أهميته، وأعلم خطورة تواصله معي.. وهو ما يعني أن هناك حدثًا جللًا...

والحدث الجلل هو الحقيبة والطبيب..

التعليمات واضحة..

يجب أن أذهب إليه بنفسي..

وبعد تفكير عميق في كل ما حدث، قررت أنه قد حان الوقت للحصول على عبوة ضخمة من الكشري، وبعدها سوف أساعد العالم في استقراره، وأحافظ على جهود الكائنات غير المرئية في حفظ السلام الكوكبي، وأراعي تمامًا عدم الإخلال بخطوط سير الزمن..

أعدكم بذلك..

في الثامنة مساء استيقظت وقد تحولت إلى تنين يقذف اللهب على الكوكب.. مع كثرة التدخين، وتناول الأكل من الشارع باستمرار أصبحت أعاني من ارتجاع أحماض المعدة بشكل مستمر، ولا ينقذني منه سوى تلك الحبوب، أو ذلك المشروب الأبيض كريه الطعم الذي يعطيه لي الطبيب في الصيدلية..

نهضت وتناولت رشفات منه...

وأنا أتأمل وجهي المجهد، وشعري الطويل الممزوج بطول لحيتي... شكلي مرعب وغريب.. واستحق أن يكرهني المحيطون بي...

لماذا لا أقوم بتهذيب لحيتي، ولو بشكل بسيط؟..

أخرجت المقص وحاولت جاهدًا أن أفعل ذلك. وقد نجحت في تحسين مظهري بعض الشيء..

تحممت بعدها سريعًا.. وبدأت ارتدي ملابسي.. فقد قررت أن أتبع التعليمات، وأن آخذ الحقيبة وأردها لصاحبها..

في الطريق أتحاشى نظرات الناس الغريبة تجاهي..

أكرهها جدًا..

أكره التحديق في الآخرين، حتى ولو كانوا ملفتين للنظر..

وصلت إلى المهندسين وأنا أتبع العنوان المرفق في بطاقة

الهوية..

وحينما وصلت كان اسم دكتور رأفت زيدان واضحًا على تلك اليافطة صفراء اللون..

وتحت اسمه كتب بخط أزرق: (استشاري الأمراض النفسية والعصبية)..

حسنا.. أن حظي الجميل ساقني إلى طبيب نفسي...

وفي نفس الوقت التعليمات التي صدرت لي توكد أنني يجب أن أتوجه إليه.

هل شعرت الكائنات الأخرى بالشفقة على حالتي، وقاموا بتوجيهي إلى طبيب نفسي؟؟

ألهذه الدرجة وجودي وحالتي أصابت الجميع بالملل؟؟!

- تأمر بحاجة يا أستاذ؟

قالها حارس العقار بصوت غليظ، وهو يتأمل في ملامحي كغيره من السادة المتأملين..

أجبته بابتسامة صفراء:

- لا أبدًا.. هو دكتور رأفت زيدان موجود حاليًا؟

هز رأسه وهو يشير إلى المبني قائلًا:

- الدور الثاني، وهو لسه جاي من شوية..

هززت رأسي، ولم أنطق بحرف واحد.. وإنما صعدت إلى

الطبيب.. حاملًا معي توجس وخيفة الكوكب بأكمله..

هي هي مساعدة الدكتور رأفت، تجلس كما تخيلتها تلوك العلكة وتقوم بتحسين وضع أحمر الشفاه على شفتيها الغليظتين..

تبدو وكأنها قادمة من أحد أفلام الستينات.. كل ما عليها أن تقوم به الآن أن تضحك ضحكة عالية.. ولكنها لم تضحك حينما شاهدتني، وإنما اعتدلت في جلستها، وهي تسألني عن الاسم وتقول لي إن الكشف قيمته خمسون جنيهًا..

قاطعتها بهدوء قائلًا:

- يا ست زنوبة أنا جاي للدكتور في أمر شخصي، وأنا مش مريض أصلًا..

نظرت لي بغضب قائلة:

- زنوبة؟؟ مين دي اللي زنوبة يا أستاذ؟! متحترم نفسك..

- أنا لم أقل لكِ زنوبة.. بل قلت لك يا أستاذة.

حدقت في ذهول قائلة:

- اقسم بالله أنت لسة قايلي يا زنوبة..

ابتسمت ببرود وأنا أفرك لحيتي:

- تفتكري قولتها وأنا مش واخد بالي؟ عمومًا أنتِ أجمل من أن تكوني زنوبة..

وفي لحظة تغيرت ملامحها العصبية الحادة، وابتسمت

قائلة:

- طيب يا أستاذ انتظر دقائق، وسوف أخبر دكتور رأفت بأنك هنا للقائه في أمر شخصي..

المكان خالي تمامًا إلا من عامل نظافة يقوم بالتنظيف بشكل روتيني، وتعطير المكان..

وبعد دقائق أخبرتني زنوبة أن أدخل للطبيب...

رجل خمسيني كثيف الشعر أشيبه. ممتلئ الجسم بشكل واضح. ولكن ملامحه تدل على طيبة مفرطة.

نهض من مقعده وهو يرحب بي، ويشير لي أن أجلس أمامه..

- أنا اسمي نادر زهران. وأنا جاي لحضرتك لأني لقيت دي..

وأخرجت الحقيبة من الكيس البلاستيكي الذي غلفتها به...

انتفض الطبيب بمجرد أن شاهد الحقيبة، وانتزعها مني بعنف قائلًا:

- من أين حصلت على الحقيبة؟ وكيف وصلت إليك؟

فتح الطبيب الحقيبة وهو يعبث بداخلها قائلًا:

- مش مهم الفلوس.. مش مهم جواز السفر.. المهم الأوراق.. أرجوك.. أين الأوراق الأخرى التي كانت في الظرف الأبيض؟

قاطعته هذه المرة بشكل حاد قائلًا:

- يا دكتور، أنا لقيت الحقيبة دي في النيل.. وأنا فتحتها ولقيت الكارت الخاص بيك، واتصلت بالفعل وجيت عشان اسلمك الحقيبة.. أنا معرفش أي شيء من اللي بتحكي عنه، ولا أعرف هي إزاي وصلت للنيل. وأنا ترددت ألف مرة قبل أن أتصل بك.. فلا داعي لكي تلومني على الخير الذي أحاول أن أقوم به..

نظر لي دكتور رأفت من أعلى عويناته.. وقد بدا أن كلامي قد أقنعه بعض الشيء.. قائلًا:

- للأسف الحقيبة سرقت مني وأنا وزوجتي وأولادي نتناول حمص الشام أعلى كوبري الساحل.. سامحني يا أستاذ نادر على عصبيتي.. بس والله اللي كان يهمني هو الظرف الأبيض أكتر من الفلوس وأي شيء آخر...

هززت رأسي وأنا أهم بمغادرة المكتب، ولكنه أمسك برسغي قائلًا:

- أنت رايح فين يا راجل؟ والله ما هتمشي أنت هتتعشى معايا النهاردة.

حاولت أن أعتذر بأي شكل، ولكن الرجل كان شديد الإصرار وهو يقول:

- أنت اللي عملته يدل على إنك ابن ناس محترمين ومتربي.. انتظرني نصف ساعة وسوف نغادر سويًا..

ومع إصراره، وافقت..

وهو يقوم بكتابة شيء ما على مكتبه الفخم..

الحائط عليه صور لشهادات من جامعات مصرية وأجنبية..

وصور لشاب وفتاة. وصورة لرجل طاعن في السن بملابس صعيد مصر الجميل..

- هيا بنا.

قالها دكتور رأفت وهو يتناول جاكت بدلته الأنيقة..

غادرنا المكتب وسط نظرات زنوبة المتسائلة..

- تحب تتعشى سمك، ولا كباب وكفتة؟

حارس العقار ينتفض واقفًا بمجرد مرور الدكتور رأفت أمامه. ولكن نظراته لي كما هي، وإنما الرجل ربما يتساءل: منذ متى يسير الدكتور رأفت مع أشخاص بمثل هيئتي أو طريقتي الغريبة؟!

- ركز معايا ومتركزش يا أخ نادر.. كباب ولا سمك؟

أجبته وأنا أجلس بجواره في سيارته الفارهة:

- أي شيء صدقني يا دكتور هيكون مناسب بالنسبالي...

بنفاد صبر قال:

- حسنًا هناك مكان مميز في مدينة نصر يقدم سمك سويسي. لنذهب إليه..

في الطريق سألني بعض الأسئلة عن حياتي، ومعيشتي،

وظروفي..

والحقيقة أن الرجل بالفعل كان مريحًا جدًا.. أخبرته عن بعض ما مررت به، ولكن لم أدخل في تفاصيل الظواهر الغامضة، ولا تجربتي في مستشفى الأمراض العقلية..

(لم تصدر بعد تلك الرواية)..

وإنما أخبرته عن اهتمامي بالظواهر الغامضة، وحبي للقراءة، وبالطبع اخبرته عن عم محمد (المكوجي العجيب) الذي أحصل منه على الكتب والروايات..

كذلك فعل دكتور رأفت وأخبرني عن أسرته، وحياته، وأنه يقوم بالتدريس في جامعة.... وأن حبه للمجال النفسي ومعرفة نفوس البشر وخفاياهم كان له دور أساسي في كل ما وصل إليه..

- ها قد وصلنا.

قالها وهو يقوم بركن السيارة... أمام مطعم السنارة..

مكان فخم للغاية.. وابتسمت وأنا أتذكر عم إسماعيل بتاع الكبدة، وحواوشي عوف.. وكيف يجب أن تقوم بالحصول على كيس من الفوار بعد تناول وجباتهم المجهولة...

- أنت بتسرح كتير كدا من زمان؟

قالها دكتور رأفت وهو يتأملني بنظرة الطبيب المتمرس..

ابتسمت ابتسامتي الصفراء المعتادة قائلًا:

- لا أبدًا يا دكتور، بس أنا مرهق شوية..

ضحك بصوت خفيض قائلًا:

- متنساش إن أنت بتحكي مع طبيب نفسي.. واضح إنك شوفت كتير.. وعشت أكتر.. خلينا ناكل الأول، وبعدها نحكي براحتنا...

بعد دقائق كان أمامنا أنواع مختلفة من الأسماك.. مائدة تكفي خمسة أشخاص على الأقل. ولكن الدكتور رأفت كان يشرح لي كل شيء:

- دي سمكة اسمها دراك.. ودي قاروص. ودي لوت.. وطبعًا جمبري قزاز. الأكل دا هنخلصه أنا وأنت يا أخ نادر عشان يبقى عيش وملح.. سمي الله وكل..

بعد أن انتهينا من الطعام. شكرته وحاولت أن اعتذر منه وأغادر، ولكن الرجل أقسم على أن أجلس معه ليتناول حجر معسل..

حاولت جاهدًا أن أعتذر منه، وتحججت بأكثر من حجة وهمية، ولكن الرجل كان رفضه قاطعًا..

وفي ذلك المقهى الهادئ سألني:

- ما هو السر وراءك يا نادر؟ أخبرني ولا تخف. أخبرني وثق تمامًا أن ما سوف تخبرني به هو أمر بيننا...

ترددت قليلًا.. ولكن حينما نظرت إلى ابتسامته الطيبة.. قررت أن أخبره كل شيء..

نعم كل شيء.

ولم لا؟! ربما أشعر ببعض الراحة..

وفي كل الأحوال، أنا لن أقابله مرة أخرى، فلماذا لا أشاركه ما مررت به؟.. وبدأت أحكي له كل شيء

منذ أن أحضر لي (مصلح) الكتب الأثرية.. حتى تجربتي بمستشفى الأمراض العقلية، وما حدث في مواجهة (عبد الله الحظرد)، ومرورًا بالكائنات الشيطانية التي واجهتها في المستقبل.. وكيف أنني فقدت عشرين عامًا من حياتي.. وحينما حاولت أن استعيدهم ذهبت إلى مستقبل الأرض المرعب الذي حدث بسبب أخطائي وأخطاء آخرين..

(الجحيم هي رواية لم تصدر بعد أيضًا)..

كنت أقول كل شيء للرجل، وهو يتأملني بحرص واهتمام شديدين.

وكل بضع دقائق يأتي عامل الشيشة؛ ليقوم بتغيير الفحم، وأحيانًا بتغيير حجر المعسل...

أخبرت دكتور رأفت كل شيء..

أخبرته عن عالمي الغريب الذي أعيش فيه..

وعن أقاربي الذين تبرأوا مني..

وعن وظيفتي التي فقدتها..

وعن الكائنات التي تتواصل معي.. وتوجهني..

حتى أنني أخبرته أن هذه الكائنات هي ما قادتني إليه اليوم...

أخبرته كل شيء..

ولا أخفي شعوري بالهدوء والراحة بعد أن انتهيت من سرد حكايتي الغريبة...

وساد الصمت.. ودكتور رأفت يتأمل ملامحي وهو يدخن شيشته في شراهة..

- أنت عارف المشكلة إيه هي يا نادر؟؟

وقبل أن أجيبه كان هو يكمل:

- المشكلة إنك مش بتكدب.. أنا بعرف المرضى النفسيين.. وبعرف امتى بيكدبوا عليا. وامتى بيكونوا صادقين..

قاطعته قائلًا:

- يعني أنت مصدقني؟

هز رأسه وهو ينفث دخان الشيشة قائلًا:

- أنا مصدقك.. أنا يابني شوفت في حياتي كتير، وقابلت ناس أكتر.. كلامك صعب يتصدق للناس العادية.. هيقولوا عليك مجنون.. وهيبتعدوا عنك.. بس الغريبة إني مصدقك جدًا. مشاعرك وصدقك واضحين.. وأنا مش تلميذ.. صدقني.. أنا بس محتاج أتأكد من شوية حاجات أنت قولتها.. بس دا مش هيكون النهاردة.. هيكون يوم الخميس القادم بأمر الله..

هنتظرك هنا الساعة الحادية عشر مساء..

قالها وهو يطلب عامل المقهى حتى يدفع له الحساب...

في طريقنا لسيارته، كان لا بد أن أسأله:

- ليه حابب نتقابل تاني يا دكتور؟

أجابني وهو يفتح باب سيارته قائلًا:

- معرفش إذا كنت هتصدقني ولا لا.. بس زي ما أنا صدقتك أنت كمان هتصدقني.. أنا حلمت بيك من يومين يا نادر.. حلمت بيك.. كنت شايفك واقف وسط غابة وتايه، ومش عارف تخرج منها.. أنا مش من طبعي إني أحلم أصلًا، أو افتكر أحلامي.. بس صدقني إنك أنت اللي كنت في الحلم.. أنا متأكد واتأكدت أكتر لما شوفتك..كل شيء بيحصل في الدنيا دي لسبب، ممكن يكون سبب مقنع وممكن يكون سبب خارج نطاق وعينا أو ادراكنا، بس في النهاية إرادة ربنا هي اللي بتقود كل شيء.. وفي الحلم أنا ساعدتك.. وخرجتك من الظلام للنور.. عشان كدا هنتقابل تاني..

وبالفعل تعددت اللقاءات..

وفي كل لقاء كان دكتور رأفت يقوم بتسجيله صوتيًا.. وتحديدًا حينما كنا نلتقي في عيادته..

وصرنا أصدقاء.. هو يصدقني، وأنا أصبحت أثق به...

هل هذا يكفي؟..

نعم، بالنسبة لي.. أنا في حاجة ماسة إلى صديق جديد.. صديق خارج إطار الأصدقاء القدامى...

الحياة عجيبة يا صديقي وحينما تتقاطع خطوط البشر سويًا، فثق تمامًا أن ذلك لحكمة ما..

وكم كنت محقا...

(الموجة الرابعة): (حجر رشيد)

لندن. شارع أولد ستريت

منزل رجل الأعمال سمير الفضيلي.

- روان..روان. استيقظي. إنها العشرة صباحًا.. وسوف نذهب اليوم للمتحف البريطاني..

قالتها نجوان الخزامي والدة روان، وهي تحاول إيقاظ الفتاة النائمة في عمق..

ولكن الحقيقة أن روان لم تكن مستغرقة في النوم كما تبدو.. وإنما كانت تشاهد أشياء غريبة من عصور أكثر غرابة..

فمنذ أن تعرضت لتجربة العلاج في النوبة منذ شهرين. وهي لم تعد فقط روان، وإنما باتت لديها قناعة تامة أنها تمتلك ذاكرة قديمة لفتاة اسمها (توليا).. وبين الحين والآخر تشاهد حياة توليا، وكأنها هي من تعيشها بكل تفاصيلها...

في وقت ما، حينما نصح الأطباء والدها أن تكمل علاجها وفترة نقاهتها في إنجلترا، كانت تظن أن سفرها خارج مصر سوف يغير أحاسيسها، ويمحو تلك الذاكرة الغريبة التي تحتل جزءًا كبيرًا من عقلها.. ولكن لم يتغير أي شيء.. المشاهدات مستمرة..

والأصوات تتعالى في رأسها.. بالطبع لم تخبر أحدًا بما حدث في المعبد.. فهي ظاهريًا استعادت - وبمعجزة ما - قدرتها الجسدية.. ولكن بقيت عيناها المختلفة ألوانها... وحركتها السريعة يمينًا ويسارًا في بعض الأحيان.. دليلًا على

أنها لم تعد كما كانت سابقًا.. لقد تغيرت شخصيتها تمامًا. نظرتها للحياة أصبحت أكثر عمقًا.

الحياة السابقة التي تراها وهي نائمة أو مستيقظة غيرت كثيرًا من فهمها السطحي لكثير من الموضوعات.

واحتفظت بسر توليا بداخلها.

عادت لها والدتها وهي تحاول إيقاظها مرة أخرى..

كان موعدهما اليوم لزيارة المتحف البريطاني.

ابتسمت روان لوالدتها التي احتضنتها وقبلتها على جبينها قائلة:

- يلا يا قلبي اصحي عشان هنروح المتحف. دي أول مرة هنروح نتفرج عليه، وكتير من الناس بيحكوا إن فيه آثار جميلة..

- حسنًا يا أمي. خلال ساعة سوف نغادر.

وبعد ساعة كان سائقهم الخاص يقف أمام المنزل.

لطيف هو (رحماني) شاب نيجيري يحمل ابتسامة عريضة، وأسنانًا ناصعة البياض، ويتحدث العربية بطلاقة، بسبب دراسته في الأزهر قبل أن يهاجر إلى بريطانيا...

بعد ربع الساعة كانت روان ووالدتها تقفان أمام بوابة المتحف البريطاني...

روان تتأمل المتحف من الخارج في انبهار واضح.. ووالدتها

تتأمل ابتسامتها بفرحة... دلفتا سويًا إلى المتحف، بعد أن أخبرهما رحماني أنه سوف ينتظرهما في الجراج الخلفي.

الأمر مبهر بحق.. كانت روان قد قرأت في جريدة ما أن المتحف يحتوي على حوالي سبعة ملايين قطعه أثرية من مختلف الحضارات، كلها توثق التاريخ البشري في مختلف الحضارات..

اعتادت روان أن تحمل معها دفتر مذكرات صغير. تدون فيه بعض المعلومات، وكذلك بعض الرؤى التي تشاهدها عن (توليا)..

كانت تتجول في المتحف بانبهار حقيقي، وهي تشاهد آثار الحضارات القديمة.. وبينما هي تتجول بعيدًا عن والدتها التي كانت تتأمل أحد التماثيل للحضارة الآشورية.. توقفت روان في ذهول أمام (حجر رشيد)، وازداد ذهولها مع حركة عينيها السريعة جدًا يمينًا ويسارًا..

كانت منبهرة تمامًا بحجر رشيد.. أنفاسها تتسارع، وهي غير مصدقة لما تراه.. فرغم حركة عينيها السريعة، كانت تشاهد تغير في الكتابات الموجودة على حجر رشيد..

نعم، كانت العلامات والنصوص المكتوبة على حجر رشيد بلغاته الثلاثة؛ الهيروغليفية، والديموطيقية، واليونانية القديمة تتغير أمامها.. تتغير بلون ذهبي لامع جدًا..

أخرجت روان دفتر مذكراتها وهي تكتب في جنون...

تكتب بسرعة غير طبيعية.. الرموز الذهبية تتغير بين لحظة وأخرى، والفتاة مستمرة في كتابة كل شيء..

زوار المتحف يشيرون إلى الفتاة التي تكتب بمنتهى السرعة.. وقد جلست أمام الحجر وهي تحدق فيه بشكل غير طبيعي أبدًا.. أمن المتحف بدت عليهم علامات الترقب والاستغراب مما تقوم به الفتاة..

أما روان فقد كان عقلها يعمل في تلك اللحظات بشكل غير طبيعي أبدًا..

فهي تقوم بكتابة كلمات بلغات مختلفة هي لم تتعلمها في حياتها من الأساس..

الأمر جنوني تمامًا..

الفتاة تكتب في صفحات بشكل رأسي، وفي صفحات أخرى بشكل أفقي..

كل تركيزها الآن على الرموز والكلمات والأحرف اللامعة التي تتحرك بسرعة هائلة؛ لتكون ما يشبه المعادلة أو المصفوفة..

يجب أن تكتب كل شيء..

والدتها انتهت من مشاهدة بعض الآثار الأخرى، وبحثت عن روان بجوارها... ولكن لم تجدها..

هرولت مسرعة ناحية الزوار المجتمعون حول شيء ما ربما تجد الفتاة بينهم...

وحينما اقتربت لم تكن روان بينهم وإنما كانت هي محور نظراتهم واهتمامهم...

الفتاة تفترش الأرض، وتقوم بالكتابة بشكل هستيري تمامًا..

الأم تحاول أن تربت على كتف روان....

روان تنتفض وهي تنظر لوالدتها بأعين مهتزة تمامًا.. مليئة بالدموع..

الأم تهدئ من روع ابنتها وتحتضنها..

ورجال الأمن يقتربون في هدوء من أجل فهم ما يحدث..

الهمهمات تتعالى من زوار المتحف، وهم يحدقون في روان التي تنهمر دموعها، وهي ما زالت تكتب في دفترها...

والدتها تحتضنها وهي تقول لها:

-كفاية يا روان.. بتكتبي ايه؟ الناس بتتفرج علينا يا حبيبتي.. أرجوكي كفاية يا روان.. أرجوكي كفاية..

ولكن روان لم تكن تسمع لأي شيء..

فالهمسات تتزايد داخل عقلها بشكل مرعب..

همسات بلغات مجهولة بالنسبة لها..

ولكن يجب أن تكتب كل شيء..

يجب أن تقوم بتدوين كل ما تراه أمامها الآن..

شيء ما يدفعها دفعًا لتدوين ما يظهر أمامها...

وفي تلك اللحظات.. تحرك أحد رجال الأمن بعيدًا، بعد أن شاهد ما حدث مع الفتاة، وأمسك بالهاتف القابع في ركن الغرفة.. وكانت كلماته وجيزة للغاية لمن يسمعه على الطرف الآخر:

- (إنه يحدث الآن.. هناك فتاة قامت برؤية المعادلات الإلهية على حجر التاريخ.. وقامت بتدوينها كاملة) كيف نتصرف؟

علي الطرف الآخر جاءته كلمات سريعة للغاية متسائلة:

- هل تأكدت من توقيت تواجد الفتاة؟

أجابه رجل الأمن:

- نعم يا سيدي، لقد كانت الساعة 11:11 تمامًا..

أجابه الطرف الآخر بلهفة وحزم شديدين:

- حسنا، ابدأوا في مراقبة الفتاة.. وقم بتنفيذ البروتوكول ألفا..

- أوأمرك يا سيدي....

انتهت المحادثة سريعًا..

وبدأ تنفيذ بروتوكول ألفا بعد دقائق..

وهو يعني ببساطة أن مراقبة الفتاة سوف تبدأ الآن..

عدد أنفاسها سوف يتم حسابه..

كل تحركاتها سوف يتم تصويرها ورصدها بأعلى التقنيات

المعروفة، وغير المعروفة..

إن هذه الجماعة تنتظر حدوث هذا الأمر منذ فترة طويلة..

جلس (إدوارد بلايك) على مكتبه وهو يشعل سيجاره الضخم.. في فرحة، بعد أن تلقي اتصال رجل الأمن التابع لمنظمتهم..

واستدعى أحد خدامه الذي انحني أمام إدوارد في احترام وتقديس غير طبيعي. قائلًا له:

- سوف نجتمع بعد ساعة من الآن، قم بإبلاغ أصحاب الفئة الأولى أن اجتماعنا سوف يكون بعد ساعة هنا في مكتبي..

- أمرك سيدي..

قالها الرجل وانصرف بسرعة..

وجلس إدوارد مبتسمًا.. ما حلموا به جميعًا على وشك أن يصبح حقيقة..

النبوءة الأهم في طائفتهم على وشك أن تتحقق... وفي سبيل ذلك لن يدخروا جهدًا، أو مالًا، أو أي شيء؛ حتى يتحقق لهم ما أرادوا.... هم مسيطرون على كل شيء من اقتصاد وموارد، بل ويترأسون حكومات أغلب الدول العظمى.. ولكن حلمهم الأساسي في الاستحواذ الكلي سوف يتحقق من خلال تلك الفتاة التي أصبحت تحت مراقبتهم الآن..

فهي المفتاح الأهم. ويجب مراقبته والمحافظة عليه بأي

ثمن وبكل ثمن.

****

- أرجوكِ يا روان، يكفي ما تقومين به..

قالتها نجوان والدتها وهي تبكي في حرقة على الوضع الغريب الذي تعيشه ابنتها روان.. الفتاة التي كانت تقوم بتدوين كلمات وخطوط بسرعة فائقة، ولا تعير أي شخص من الواقفون بجوارها اهتمامًا.

شيء ما يهمس في أذنيها..

شيء ما يدفعها لكي تكمل الكتابة..

همسات متتالية تزداد كل لحظة..

تشعر أن عقلها على وشك الانفجار..

رجال الأمن يحيطون بالفتاة، ووالدتها تحاول أن تنهي هذا العبث.. وتوقفت الهمسات في عقل روان بغتة.. ومعها انتهت روان من الكتابة..

ونظرت إلى والدتها، وإلى زوار المتحف الذين شكلوا دائرة حول الفتاة.. وهي لا تفهم من الأساس ما الذي حدث..

اقترب أحد أفراد الأمن من روان وهو يساعدها على النهوض.. ولكن لم تكن تلك غايته الوحيدة..

فقد قام بلصق جاهز تنصت في معطفها.. وفي نفس الوقت قامت إحدى السيدات بسحب حقيبة يد روان ووضعت

بداخلها جهاز تتبع آخر..

كل ذلك حدث باحترافية وسرعة شديدين..

وابتعد زوار المتحف عن روان التي أمسكت بيد والدتها، ورجال الأمن من حولهما يعرضون عليهما المساعدة، بعد أن قاموا بدس أجهزة التسجيل والمراقبة..

اتكأت روان على والدتها التي كانت تبكي في حرقة قائلة:

- ليه كل دا يا روان؟ ليه يا قلبي بتعملي كدا؟ بتكتبي إيه بس؟ وليه تضحكي الناس علينا في المتحف بالشكل دا؟ أنا جبتك هنا عشان تغيري جو، مش عشان تتصرفي بالشكل الغريب دا!!

ولكن روان لم تكن تنصت لها.. بل كانت في عالم آخر تمامًا..

فما زالت أشكال الكلمات والحروف تتحرك أمامها بلونها الذهبي..

تتحرك لتكون أشكالًا أشبه بالمعادلات..

وصل إليهما رحماني، وهبط مسرعًا ليفتح باب السيارة، وهو يتأمل روان قائلًا:

- ألف سلامة على الأستاذة روان.. هل نحن في حاجة إلى زيارة الطبيب، أو الذهاب إلى المشفى؟؟

نظرت نجوان الخزامي إلى ابنتها التي كانت شاحبة اللون بشكل لا يصدق، وطلبت من رحماني أن يذهب بهما إلى أقرب

مركز طبي.. فحالة روان كانت تسوء بشكل سريع للغاية، ويجب أن تهتم بابنتها، وخصوصًا أن زوجها عاد إلى مصر مسرعًا لإنهاء بعد الأمور الهامة.. بعد دقائق كانت روان ترقد على أحد الأسرة الطبية، وبجوارها طبيب وممرضة يقومان بقياس الضغط، وضربات القلب، ورسم المخ للفتاة شاحبة اللون.. وطبيبة أخرى تقوم بوضع الكانيولا لروان؛ لتمدها ببعض السوائل المغذية..

بعد إجراء الفحوصات كانت نتيجة رسم المخ للفتاة غير طبيعية نهائيًا..

نشاط عقلها زائد عن الحد البشري الطبيعي.

ربما لأول مرة يشاهد هذا الطبيب هذا النشاط الفائق للحد.

حتي الطبيبة الواقفة بجواره أيدت كلامه تمامًا..

- هناك شيء غريب في تلك الفتاة..

قالتها الطبيبة وهي تحدق في نتائج فحص الدم لروان..

- فصيلة دم الفتاة فصيلة مختلطة.. مستحيل..

قالها الطبيب وهو يشاهد نتيجة تحليل الدم لروان..

ففصيلة دمها لم تكن تحمل نوعًا واحدًا.. وإنما نوعين.. وهو ما يستحيل تحققه من الأساس..

الأجهزة تقوم بالإشارة إلى فصيلتي دم، وليست فصيلة واحدة كما هو معتاد للبشر..

هنا وعبر مكبرات الصوت كان يتحدث كبير الأطباء موجهًا نداءه للفريق الطبي الذي يتعامل مع حالة روان، مطالبًا إياهم أن يذهبوا إلى غرفة الاجتماعات فورًا..

وبالفعل ترك الطاقم الطبي روان وانصرفوا، وسط ذهول والدتها التي لم تفهم ما يحدث حولها..

في غرفة الاجتماعات كانت الكلمات موجزة للغاية..

بأن يتم تسليم التقارير الطبية والفحوصات الخاصة بروان إلى طاقم آخر سوف يتولى رعاية حالتها..

حاول الطبيب المعالج لروان أن يتحدث أو يستفهم، ولكن كبير الأطباء في المستشفى قال بحزم:

- الموضوع منتهي..

وأنتم اليوم في عطلة مدفوعة الأجر من المشفى..

ووسط ذهول الطاقم الطبي، تقدم طبيب وطبيبة مجهولان تمامًا، وأول مرة تتم رؤيتهما في المستشفى، وأخذا التقارير الخاصة بروان.. وغادرا الغرفة..

بعد دقائق كان الفريق الطبي الجديد يطلب والدة روان أن تغادر الغرفة من أجل عمل بعض التحاليل والأشعة للفتاة..

اعترضت الأم على طلب الأطباء، وقالت لهم إن الفحوصات أجراها بالفعل الطاقم الطبي الذي تواجد منذ دخول روان. ولكنهم غادروا منذ قليل.

أومأ الطبيب برأسه وابتسم ابتسامة خبيثة قائلًا:

- نعم نعلم ذلك ولكن حالة الفتاة تحتاج إلى رعاية من نوع خاص.

ونظر إلى زميلته وتبادلا ابتسامة غامضة..

بعد دقائق كانت روان قد تم حقنها بنوع مختلف من المحاليل، وتم وضع جهاز تنصت آخر في أسفل ظهرها.

ولكن لم كن ذلك كل شيء.

فبعد لحظات اقترب رجل من الغرفة التي ترقد بها روان..

كان رجلًا يرتدي ملابس سوداء، وكأنه قادم من القرون الوسطي.

ولكن قبل أن يظهر الرجل المتشح بالسواد، حضر أحد العاملين بالمستشفى، وطلب من والدة روان أن تذهب لمقابلة مدير المستشفى لأمر عاجل.. كان واضحًا تمامًا أن هذا الطلب جاء في وقت محدد، حتى يسمح لذلك الرجل أن يدلف إلى غرفة روان بدون أي اعتراضات.. ولكن (رحماني) السائق شاهد الرجل المتشح بالسواد.. شاهده وشعر بأن هناك شيئًا ما غير طبيعي يحدث مع الفتاة.

وبشكل سريع تدخل رحماني، وحاول منع ذلك الرجل الغامض من الدخول إلى غرفة روان.. ولكن - ومن العدم - ظهر رجلان مفتولا العضلات قاما بمنع رحماني من الاقتراب من غرفة روان، بل وأخذاه بعنف إلى مدخل سلم الطوارئ

وانهالوا عليه بالضرب.. وقبل أن يفقد رحماني وعيه، كانت عيناه قد التقطت شكل الخاتم الفضي الذي يزين أصابع كلا الرجلين، واتسعت عيناه من الرعب وهو يرى أحدهم يرفع قبضته عاليًا قبل أن يهوي على أنفه بذلك الخاتم المميز بعلامة سرية ومخيفة للغاية.. علامة تحمل في طياتها منظمة من أخطر المنظمات على وجه الأرض وأكثرها عنفًا..

منظمة اسمها (الماسونية)..

وكان ذلك آخر ما شاهده رحماني..

في ذلك الوقت كان الرجل المتشح بالسواد قد دلف إلى غرفة روان، وفي خشوع وتقديس ورهبة تراجع الطبيب والطبيبة وهما ينحنيان في إجلال لهذا الرجل الذي تقدم بخطوات هادئة ناحيتهما، ومد يده اليسرى إليهما، ليقوما بتقبيل الخاتم الذي يحمل شعار الماسونية، ولكنه مختلف بشكل ما بسبب اللون الأحمر القاني الذي يزين منتصف الخاتم.

بعد لحظات كان الرجل الغامض يخرج كتابًا ما ويقوم بقراءة بعض الأجزاء منه..

لنتوقف هنا للحظات.. ونحاول أن نقترب بشكل سينمائي من الكتاب الذي يمسك به هذا الكاهن.. شكل مجسم بارز لرأس إنسان!، ولكن مهلا..

لنقترب أكثر من هذا المجسم.. لتضح لنا الصورة بشكل أكثر وضوحًا.. ورعبًا!!

فمجسم الرأس البارز يوضح رأسًا تم شقها من الأعلى، ويخرج منها رأس إنسان آخر..

وهذا يعني ببساطة أن هذا الرجل يمسك في يده واحدًا من أعنف كتب السحر التي تتخذها الماسونية كدستور لها، وهو كتاب (الميثاق) أحد أخطر الكتب، ولا يتم الإعلان أو الإفصاح عنه ولا عن كاتبه.. بل من الأساس هنالك درجات محدودة جدًا في الماسونية هم من لديهم الحق في لمس هذا الكتاب.. وفي مراسمهم يجب على من يقرأ في الكتاب أن يتطهر من الذنب.. والذنب هنا هو أنه ولد بشريًا من الأساس.. الكتاب ببساطة هو قانونهم الجديد، والميثاق الموحد الذي سوف تسيطر به هذه المنظمة على العالم في المستقبل. نهاية البشر وخروج بشر آخرين ينتمون إليهم.. لذلك تجد مجسم الرأس المفتوح من الأعلى يخرج منه رأس بشري جديد. وهو دليل على الميلاد الجديد للإنسان في المستقبل. إنسان لا ينتمي إلى الأرض. ولا يعبد إلا شيئًا واحدًا فقط، هو من لدية الحق في السيطرة على الإنسان وعلى الحياة على كل كواكب الكون، وهو إبليس..

يقال أن هذا الكتاب قام بكتابته إبليس شخصيًا؛ لكي يكون دستورًا مستقبليًا للبشر. وعبر العصور كان يتم اختيار من ينال شرف رؤية أو لمس هذا الكتاب بعناية تامة، وبعد أن يقدم فروض الولاء والطاعة لإبليس بنفسه.

وتناولت أساطير قديمة ماهية هذا الكتاب الشنيع الذي

نستطيع أن نلخصه في كلمتين. (ضد الإله)!!

الكتاب بقوانينه يمثل كل ما هو ضد الطبيعة البشرية، وكل ما يخالف الأديان بشكل لا يتخيله عقل..

(فرانسوا اليجو) كان آخر من قام بالحديث عن هذا الكتاب سنة 1920 في مقال بجريدة فرنسية، ووجد بعدها ميتًا ميتة بشعة؛ بأن تم تقطيع أوصاله، وشق رأسه من الأعلى، ووضع أصابع يده في هذا الشق.

وتم ترك رسالة بجواره مفادها: «أن صاحب الأصابع التي تكتب عن (الميثاق) بدون أن يكون مؤهلًا لذلك يستحق ما سوف يحدث له».

لنترك (الميثاق)، ولنعد إلى روان وما يحدث معها..

الكاهن يقرأ بعض الكلمات بصوت هادئ جدًا. والطبيب والطبيبة يقفان في خشوع تام، وقد قاما بسد آذانهما بأيديهما، وفق تعليمات الكاهن.

أما روان..

فكانت تشعر بالنيران تلتهم عقلها..

كانت تشاهد نفسها جالسة في مكان هائل الاتساع، به ملايين الغرف المغلقة المظلمة، ولكنها كانت في غرفة خافتة الإضاءة جالسة في هدوء عجيب. وأمامها يتقدم نفس الكاهن الذي يقف أمام جسدها الغائب عن الوعي..

الكاهن يتقدم..

وروان ما زالت تحتفظ بهدوئها..

وقف الكاهن أمامها تمامًا، وبدأت كلماته واضحة:

(بسم من امتلك مقادير كل شيء.. بسم من يغير كل شيء.. بسم إبليس الأعظم.. بسم من يطيعه البشر وكافة المخلوقات.. آمرك أن تطيعي وتنفذي ما سوف يوكل إليكِ)..

ولكن روان ابتسمت ابتسامة واثقة، ولم تتحدث..

كرر الكاهن نفس الكلمات مرة أخرى ولكن بنبرة غاضبة هذه المرة..

ولم تبتسم روان، ولكنها بدأت تشعر بالخوف..

الكاهن يكرر كلماته للمرة الثالثة، ويضع الكتاب بجواره، ويكشف عن وجهه وهو يبتسم أمام روان.. وانتفضت روان وهي تشاهد ملامح الرجل، أو الذي كانت تتخيل أنه رجل طبيعي..

فما كان أمامها كان مزيجًا مخيفًا بين إنسان وثعبان.. أو تنين الكومودو.. أو ثلاثتهم معًا!

الرجل يخرج لسانًا طويلًا مشقوقًا، وعيناه مشقوقتان طوليًا بلون أحمر كالدم، ويميل برأسه في حركة متكررة ناحية كتفه الأيسر..

ولم تتمالك روان نفسها..

ورغم أنها تعلم أنها تشاهد رؤية عقلية، إلا أنها صرخت

صرخت بصوت رهيب.. ولم تكن روان بمفردها من تصرخ.. وإنما كانت الصرخة مزدوجة من روان وتوليا..

كلاهما كانت تصرخ في عنف وخوف... وذلك الكائن يقترب وهو يهمس بكلمات غير مفهومة؛ كلمات أشبه بالتعاويذ..

وبدأ عقل روان يهدأ بشكل غريب، والكائن بصوت كالفحيح يكرر كلماته..

روان تفقد السيطرة تباعًا..

تحاول أن تقاوم، ولكن الأمر أكبر منها..

الكائن يقترب من رقبتها، ويلعقها بلسانه المقزز، ثم يهمس في أذنها قائلًا:

- حسنًا يا رسولتي الصغيرة، أنتِ المختارة. لقد انتظرناكِ وقتًا طويلًا للغاية.. ما يجب أن تقومي به هو أن تتركي لي عقلك تمامًا، ولا تقاومي.. فلا داعي للمقاومة من الأساس؛ لأنها لن تفضي إلى شيء.

كانت كلماته أشبه بأسلوب من أساليب التنويم الإيحائي أو المغناطيسي..

واستسلمت روان، وغابت توليا نهائيًا

وبابتسامة منتصرة قال الكاهن:

- أحسنتِ يا رسولتي.. آخذ ما لديكِ. وأعطيكِ ما نريد أن يحدث.. لا تخافي، فلن تتذكري أي شيء بعد دقائق....

*****

ربع ساعة كانت كفيلة بإنهاء كل شيء..

الطبيب والطبيبة تراجعا للخلف تمامًا، والتصقا بالحائط من هول ما يشاهدانه، والكاهن يظهر على حقيقته أمام أعينهما الذاهلة..

ويضع يده لتخترق عظام جمجمة روان!!

نعم هذا ما كان يحدث!!

يد الكاهن تخترق رأس الفتاة بمنتهى اليسر والسهولة، وكأن ذلك الرأس مصنوع من الجيلي..

الأمر يخالف العلم والمنطق..

لهما الحق في أن يقولا ذلك..

ولكن الحدود والعلوم الشيطانية مختلفة تمامًا.. إن الشياطين وخدامهم لهم طرق غير طبيعية، بل وغير مفهومة بالنسبة للبشر.. ولكن يكفي أنهم يسيرون في دماء البشر بكل سهولة ويسر..

نعود للكاهن الذي تناول شيئًا ما أشبه بالحشرة الصغيرة.. ووضعها بعناية في رأس روان..

وكأننا نشاهد صورة بالأشعة السينية

كانت الحشرة تخترق رأس روان، وتفرد أذرعها العمانية؛ لتحيط بمخها تمامًا. الكاهن يبتسم في فرحة، وقد أكمل

مهمته التي تم تكليفه بها في الاجتماع الأخير..

كل شيء يحدث معهم يحدث بدقة متناهية..

كل ما يتم الاتفاق عليه هو أمر واجب النفاذ..

إن الماضي لهم، والحاضر يعبثون به والمستقبل غايتهم..

وتلك الفتاة - التي انتظروها طويلًا - هي المفتاح.. المفتاح الحقيقي لتأمين المستقبل..

بعد لحظات كان الكاهن يضع لثامه مرة أخرى، ويغادر..

ووقف الطبيبان في هلع...يشاهدان جسد روان الهش الذي كان ينتفض في عنف، ومؤشراتها الحيوية التي توضح مقدارًا هائلًا من المعاناة..

هنا دخلت عليهم والدة روان مسرعة وهي تتأمل جسد الفتاة الذي ينتفض بشكل غريب، ووجه روان الذي بدأ يميل للون أخضر...

وصرخت في الفريق الطبي أن يفعلا أي شيء.. ولكن الطبيب نظر لها في غضب صارخًا فيها أن تغادر الغرفة..

ووسط دموعها ولوعتها على ما يحدث لابنتها غادرت الغرفة وهي تقف خارجًا في محاولة حقيقية لفهم ما يحدث...

ولها كل الحق في محاولة الوصول إلى تفسير حقيقي لما يحدث.. فالأمر معقد وقديم... قديم للغاية..

****

مصر عام -1799- رشيد.

الواحدة صباحًا..

- إنه اكتشاف غريب يا (بيير)

قالها (أيكر) وهو يتأمل الحجر الماثل أمامهما..

بيير يجثو على ركبتيه، ويزيل بعض التكتلات الطينية عن الحجر الذي يحمل كتابات غريبة..

ولكن يده تلمس شيئًا معدنيًا..

نعم هناك شيء معدني صغير أسفل هذا الجزء.. ولكن قبل أن تلمس يد (بيير) ذلك الجزء مرة أخرى، كان صوت عامل مصري ينطلق عاليًا:

- لقد وجدنا ممرًا يقود إلى شيء ما...

قالها وهو يلهث، ويشير إلى نفق صغير تظهر بدايته على ضوء المشاعل..

وبسرعة تناول (بيير) المشعل، وهبط درجات هذا الممر الغريب وتبعه (أيكار) وعدد من العمال المصريين.. وعلي ضوء المشاعل كانوا أمام اكتشاف غريب..

الممر مرسوم على جدرانه رسوم للحجر الذي تم اكتشافه منذ ساعات.. ولكن الأمر المحير هو الأسهم التي تخرج من الحجر، وتشير إلى هرم قزم صغير ملون بلون أسود..

- هي ليست مجرد لغات.

قالها بيير في ذهول..

نظر له (أيكار) وقال متسائلًا:

- ما الذي تعنيه يا (بيير)؟

ولكن بيير لم يلتفت له من الأساس، فقد كان يحاول تفسير تلك النقوش الغريبة.. النقوش التي تؤكد على وجود علاقة وثيقة بين الحجر وبين هرم أو هريم أسود صغير..

كان يدقق أكثر وأكثر وهو يزيل الأتربة في جنون عن الحائط؛ لتظهر له النقوش بشكل أوضح..

الحجر يتبعه الهرم، ثم يتبعهما نقش واضح لملك فرعوني يحمل في يده ضوءًا.. نعم ضوءًا أصفر حقيقيًا، وكان هذا النقش قد تم بالأمس القريب، وليس من آلاف السنين...

- إنه لأمر تاريخي ما أراه أنا وأنت يا أيكار. إنه ليس مجرد حجر!! ليس مجرد حجر!!

وجه بيير أوامره إلى العمال المصريين أن يكملوا الحفر، حتى يظهر له كل شيء..

ولكن هنا كان الصوت الحاسم يأتي من خلفهم..

فقد كان عدد من الرجال - من أصحاب الرتب العالية - يقفون خلف بيير وبجواره.. وبكلمات حاسمة قال أحد القادة بحسم:

- انتهى دوركم هنا.. غادروا المكان فورًا.

نظر له (بيير) قائلًا: ولكن سيدي نحن أمام اكتشاف هائل سوف يقودنا إلى انتصار تاريخي على الأعداء البريطانيين..

ولم يدعه القائد يكمل حديثه، وإنما كرر كلماته بغضب وصوت مرتفع للغاية:

- مهمتكم انتهت. غادروا المكان جميعًا..

ثم نظر إلى بيير قائلًا: أما أنت فانتظرني قليلًا..

وخلال لحظات كان العاملون و(أيكار) قد غادروا المكان، وبقي (بيير) واقفًا أمام قائده وبعض الرجال..

- حسنًا بيير، استمع إلى ما سوف أقوله جيدًا.. لقد اكتشفت أحد أهم ألغاز وأسرار التاريخ بكل عصوره!! فهذا الحجر سوف يكشف الكثير من الأشياء التي ظلت مخفية عن عقول العالم..

هنا تحدث بيير في لهفة قائلًا:

- ولكنه ليس مجرد حجر مدون عليه كتابات.. لقد وجدت شيئًا معدنيًا...

ولكن قائده اقترب منه حتى كادت أنوفهما أن تتلامس، وهو يضغط على كلماته قائلًا:

- هو مجرد حجر يا بيير.. وسوف يذكرك التاريخ يومًا ما أنك قد اكتشفته.. ولكنك لن تتحدث عن أي شيء آخر..

بيير يحدق في القائد قائلًا:

- كيف يا سيدي؟ الأمر أكبر بكثير من...

وهنا أمسك القائد بكتف بيير، وعيناه تتحول على ضوء المشاعل المعلقة على الجدار من لونها الطبيعي إلى لون أحمر ناري غريب:

- الأمر منتهٍ.. وسوف تغادر الآن.. ولن تتحدث عن الأمر بأي حال من الأحوال.. حتى هذا الممر لن يعرف به أي شخص على هذا الكوكب.. انتهى الأمر..

والتفت القائد خلفه، وأشار إلى أحد القادة رفيعي المستوى الذي تحرك وأمسك بيير من يده وخرجا سويًا..

وداخل ذلك الممر

تبدلت أشكال القادة؛ لتعود إليهم ملامحهم الأساسية المرعبة، وتظهر حقيقتهم غير البشرية، وهم ينظرون بعضهم إلى بعض في فرحة.. فرحة غير بشرية.. فرحة بين جنس يعيش بيننا متخفيًا في شكل بشري، ويسيطر على كل شيء..

بعد دقائق كان بيير يسير في اتجاه وحدته العسكرية غير مصدق لكل ما حدث.. لقد كان على بعد خطوة من اكتشاف تاريخي..

ولكن للأسف.. الأمر انتهى بالنسبة له.. سوف يتم تكريمه بشكل ما، وسوف يقضي باقي حياته في دار للعجزة، بعد أن يصاب بشلل نصفي.. ولكن التاريخ سوف يتذكر دائمًا (بيير فرانسوا بوشار)، علي أنه من اكتشف حجر غامض وغريب..

سوف يطلق عليه مستقبلًا حجر رشيد..

ولكن لن يتحدث أحد أبدًا عن حقيقة القبو أو الممر الذي كان بجواره، والذي يكشف حقيقة هائلة تربط بين الحجر وبين هريم أسود، وبين شيء مجهول يتحقق باجتماعهما سويًا...

وداعًا (بيير).. لا داعي لأن تشنق نفسك بعقدة الذنب بعدم إخبارك للعالم بالحقيقة..

فسوف تذكرك ميس صفاء بعد حوالي مائتي عام في حصة التاريخ للصف الرابع الابتدائي في مصر..

وهذا لو كنت تعلم لهو أمر عظيم...

*****

استيقظت (روان) بعد ساعتين، لتجد والدتها بجوارها تربت على كتفها قائلة:

- حمد لله على سلامتك يا روان.

ابتسمت روان وعيناها تتحركان حركتهما السرعية المعتادة.. ولكن هناك شيئًا مختلفًا يدور داخل عقلها.. شيئًا أشبه بحلم كان تعيشه وترك أثره بداخلها....

وفي المساء وبعد فترة من البحث عن (رحماني) الذي اختفى تمامًا.

عادتا إلى المنزل، ودلفت روان إلى غرفتها، وأخرجت

دفترها، وبدأت تكتب مرة أخرى..

كانت تكتب تواريخ وأرقامًا.. عقلها يربط الأشياء ببعضها بشكل سريع للغاية.. أرقام.. أحرف.. علامات.. تواريخ تظهر في النهاية!!

الفتاة في حالة رعب من كتاباتها..

بعد خمس ساعات كتابة متواصلة كانت أمام عدد لا نهائي من الألغاز!!

الفتاة - ورغم تطور عقلها اليوم بشكل هي نفسها غير معتادة عليه - ولكن ما معنى النتائج التي توصلت إليها؟!

المعادلات أمامها واضحة..

تواريخ لأحداث في الماضي.. وتاريخ لحوادث مستقبلية..

هي لم تدرس التاريخ بشكل كافٍ؛ لكي تعلم كل الأحداث الهامة في الماضي، ولكن الكلمات التي شاهدتها على حجر رشيد كانت واضحة للغاية.. فالكلمات التي تلونت بلون ذهبي كانت تعني أنها أحداث مستقبلية لا بد أن تحدث.. الأمر واضح وجلي للغاية؛ هي مجموعة من الأحداث المرتبطة سويًا، والتي تبدو كبرهان على حقيقة ما يحتويه حجر رشيد. ولا يقرأها أو يفهمها إلا الشخص المختار....

اللعنة على كل شيء! من هو الشخص المختار؟ هل أنا بعد كل ما مررت به أكون شخصًا مختارًا؟ ومختار لماذا من الاساس؟!....

حاولت روان أن تستعيد تركيزها، وقامت بكتابة أهم الأحداث التي سوف تحدث هذا العام.. وقد كانت النتائج مذهلة أو مجنونة..

ظهور الجزيرة السوداء دلالة على أنك المختار، وأنك تقرأ المعادلات الكونية بشكل صحيح..

المياه تلتهم أكثر من مائتي ألف نفس بشرية!!

والنيران تثأر من المياه، وتختار مائة ألف نفس بشرية كوليمة لها!!

الأرض تغضب وتبتلع عشرة آلاف نفس بشرية!!

- مستحيل!!

قالتها روان وهي تشاهد النتائج التي استخلصتها على هيئة معادلات. حاولت جاهدة أن تدقق أكثر لتصل إلى مكان حدوث تلك الظواهر، ولكنها لم تستطع ذلك.. الأمر برمته غريب ومحير وغير مفهوم.. كل المعادلات تشير إلى ارتباط وثيق بين حجر رشيد وبين هرم أسود!! ذلك الهرم الأسود يكمل ما تم كتابته على حجر رشيد..

كانت روان تتفحص المعادلات التي قامت بكتابتها وهي تقرأها بشكل أفقي ورأسي بما يتنافى مع أي مدلول دراسي أو منطقي معروف للقراءة.. وكانت نتيجة قراءتها واحدة دائمًا.. الإشارة إلى أهمية هذا الهرم الأسود، وأنه يكمل المعادلة.. حاولت روان أن تقوم بتفسير أكثر دقة للنتائج التي

توصلت إليها بعيدًا عن المعادلات، فالأمر واضح..

بين غياهب الزمن، وبين تقلبات صعبة، يظهر هو وهي لكي يقدما الطريق نحو العلم المفقود. نحو الأصل في كل شيء. المحافظة على السر واجبة. سرنا وسر الأجداد يقف رافعًا رأسه عاليًا في موجهة الأعداء، حينما تلتقي الحكمة الخالصة بالشخص المنذر بالوصول إلى الحل، ترفع الغمامة عن الأعين ويقف ابننا الأسود الصغير (المقصود هنا الهرم الأسود) كحامي لمكان الكنز الأهم والأسمى في تاريخ البشر.. وثقنا كل شيء، ولكننا نحرص على أن يصل إليكم في وقت مناسب، وألا يقع في الأيدي الخطأ.

بين براثن الظلمات كنا نضيء العالم بعلومنا وتقدمنا..

بين أهوال وحروب كنا وما زلنا حائط الصد الأول لحماية الأرض ومن عليها..

ما أمامك هو الطريق إلى المعرفة الخالصة. إلى العلم الحقيقي النقي. هناك في (أزيهور) يكتمل كل شيء، وتظهر الحقيقة...

كانت روان تقرأ المكتوب وهي غير قادرة على استيعاب أو فهم الحقيقة الكامنة وراء تلك الكلمات..

تساءلت في قرارة نفسها عن ماهية ما يحدث، ولكن الأمر يفوق قدرتها على الفهم.

ما علاقة أن تتحقق أحداث كارثية بالهرم الأسود، وبشيء

ما بالغ الأهمية؟!

ولم تتوصل روان إلى الحقيقة رغم مجهوداتها المضنية..

مر أسبوعان خضعت فيهما روان إلى جلسات مع طبيب نفسي متخصص. ولكنها لم تفصح له بكل شيء. وإنما اخفت تمامًا أمر اكتشافها الغريب عن حجر رشيد..

اخفته لأن الرجل ربما اعتقدها معتوهة، أو ربما فقدت عقلها من جراء الحادث..

- سوف نغادر خلال أيام إلى مصر يا روان. والدك اتصل بي منذ قليل، ويؤكد أنه تواصل مع طبيب نفسي متخصص سوف يتابع حالتك، وأنه لا داعي لتواجدنا كل هذا الوقت هنا بعيدًا عنه..

عادت روان إلى مصر محملة بهمومها، وهي تتمنى لو أن تشارك أي شخص حقيقة ما يحدث معها. وظلت تتأمل ما قامت بكتابته دائمًا وهي تسأل نفسها: هل هي مريضة نفسية وتحتاج لعلاج شافٍ، أم أنها بالفعل تخوض شيئًا يعجز العقل البشري الطبيعي عن إدراكه؟

بعد ثلاثة أيام من تواجد روان في مصر، استيقظت صباحًا تتناول إفطارها وتشاهد التلفاز، لتجد على الشاشة مشاهد كارثية وسط تعليق صوتي يقول:

- الآلاف من البشر في عداد المفقودين، وما زالت الدول تحاول مواجهة الكارثة الرهيبة التي حدثت اليوم صباحًا..

وضرب إندونيسيا

الزلزال الهائل الذي تجاوز التسع درجات، نتج عنه تصدع في الفالق بين صفيحة بورما والصفيحة الهندية. الزلزال تسبب في موجات تسونامي هائلة. ووصل الأمر إلى توقعات بفقدان أكثر من مائتي ألف قتيل حتى غابوا أسفل الموجات الهائلة..

وسقط فنجان القهوة من روان على الأرض، وهي تحدق في المشاهد المأساوية التي تعرضها القناة.

ما قرأته على حجر رشيد يحدث بالفعل!! إنها لم تكن تهذي، أو أصابها الخرف.

الفتاة كانت تبكي في حرقة وهي غير مصدقة لما تشاهده من مشاهد مفزعة، ورغم حزنها الهائل كانت بداخلها قناعة تتولد في قوة..

قناعة بانها إنسانة عاقلة. عادت إلى غرفتها وأخرجت أوراقها لتقرأ الكلام المكتوب بخطها الأحمر المنمق:

(المياه تلتهم أكثر من مائتي ألف نفس بشرية).

ثم ذهبت إلى صفحة أخرى بها كلمات في منتهى الأهمية:

(وحينما تتحقق الدلالات يكون أمام الشخص الموعود عشر ليالٍ للوصول إلى المصدر)!

الأمر محير بالفعل، وروان تأكدت أنها كانت على صواب في ترجمتها الغريبة للنصوص، ولكن هل كل ما يحدث مصادفة؟؟

هل من الممكن أن يكون كل ما يحدث معها هو مصادفة عابرة؟؟

لقد كادت أن تفقد عقلها. ولكن لديها دليل واضح على أنها على صواب..

ولكنها يجب أن تصارح شخصًا ما بكل ما يدور في عقلها. شخصًا غريبًا عنها تمامًا. يمكنه أن يتلقى كل هذه المعلومات ويساعدها على فهمها.

ولكن من هو هذا الشخص؟؟

في المساء دلف سمير الفضيلي والد روان إلى غرفتها ليجدها جالسة على مكتبها أمام عدد هائل من الأوراق المتناثرة حولها.

تقدم منها بهدوء وهو يقبل جبينها قائلًا:

- كيف حال قمري الجميل؟

ابتسمت روان وهي تلتفت له، وتتعلق في رقبته بدلال قائلة:

- قمرك يريد أن يغادر الكوكب.

وضحكا سويًا وهو يقول لها:

- حسنا، لا تقلقي سوف نغادر جميعنا الأرض، ولكن لا تنسي موعدك الليلة مع دكتور رأفت زيدان، الطبيب النفسي الأشهر في مصر، وهو من أشهر الأطباء الذين يُشهد لهم بالكفاءة..

لقد حددت لكِ موعدًا معه الليلة، الساعة الثامنة مساء.

- طبيب نفسي مرة أخرى يا أبي؟

قالتها روان بحزن..

ربت والدها على كتفها وهو يقول:

- ثقي فيّ.. زيارتك له سوف تساعدك على تخطي آثار الحادث، وسوف تعيد ترتيب الكثير من الأمور.

هزت روان رأسها بالموافقة. وغادر والدها الغرفة.

روان وافقت لأنها رأت أنها فرصة مثالية لكي تحكي لشخص ما عن حقيقة ما يحدث معها.

ولمَ لا يكون هذا الشخص هو هذا الطبيب؟؟

بعد قليل كانت روان تقف في مدخل العيادة. رائحة المعطرات قوية للغاية. مزيج غريب من المعطرات والبخور، وهناك في ركن غرفة الاستقبال يجلس شاب يدفن رأسه بين راحتي كفيه.. بشعر ناعم طويل يغطي كفيه تمامًا وأمامه كانت تجلس الممرضة.

دلفت روان إلى العيادة، وأخبرت الممرضة باسمها، وأن لديها موعدًا مع دكتور رأفت..

وأشارت لها الممرضة أن تجلس لدقائق..

روان التفتت مرة أخرى إلى الشاب الذي اعتدل في جلسته..

ذقنه نامية، ملامحه جميلة، ولكنها ملامح حزينة للغاية..

والتقت عيناها بعيني الشاب..

ولأول مرة في حياتها تشعر بتلك الرجفة الغريبة.. رجفة غامضة اجتاحت جسدها بقوة هائلة.. تواصل غريب وغامض مع هذا الشاب.. كانا يتبادلان النظرات سويًا، ويبدو أن الشاب شعر بنفس الشيء تجاه الفتاة.

استمرا يحدقان كل منهما في الآخر لدقائق بدون أن يتبادلان أي حرف.. ولكنه كان حوارًا عقليًا غريبًا من نوع نادر..

مئات الأفكار انتقلت بينهما في لحظات، كأن بينهما تاريخًا قديمًا وحياة قديمة..

سيل من الذكريات ينتقل فيما بينهما بسرعة خرافية..

توليا ونيراف..

روان ونادر..

أصوات متداخلة غريبة تدور في عقول روان وذلك الشاب، حتى هو شعر بنفس الشيء، هو الذي خاض مئات التجارب المرعبة، لم يمر أبدًا بهذا التلاقي الفكري والنفسي..

الفتاة التي تتحرك عيناها بشكل سريع غريبة وغامضة، ولكن في قرارة نفسه كان يشعر أنه يعرفها من قديم الأزل..

(نيراف) صوت يسمعه يتردد في جنبات عقله..

(توليا) الصوت يتردد في عقله بإصرار..

لم أكن يومًا من الأشخاص محبي التحديق، ولكن ما يحدث مع الفتاة أمر غير طبيعي تمامًا..

أشعر بانجذاب هائل لها. أشعر أني وجدت نصفي الآخر الضائع مني منذ قرون.. هل هذا هو تناسخ الأرواح؟ هل هو توأم الشعلة، أم انتقال للوعي؟

لا أعلم.. ولكن قلبي يرتجف من الفرحة وهو يشاهد تلك الفتاة..

هي تكملة نقصاني.

هي من كنت أبحث عنها طوال حياتي. وقد وجدتها..

وبسرعة شديدة هب واقفًا، وكذلك فعلت الفتاة وتعانقا سويًا.. تعانقا والفتاة تبكي في حرقة، وهو أيضًا.. بدأت دموعه تسيل بشكل غريب..

أما الممرضة فكانت تنظر لهما في بلاهة، وهي غير قادرة على استيعاب ما يحدث، ولم تفهم كلماتهما الغريبة:

- لقد بحثت عنك طويلًا يا نيراف.

يبتسم نادر (نيراف): وأنا كنت منقوصًا في غيابك يا (توليا).

كان لقاء من نوع خاص جدًا.

لقاء بين شخصيتين تعيشان الحاضر بمشاعر وأحاسيس

وذكريات من الماضي.

مقدار الانجذاب بينهما كان غير طبيعي على الإطلاق.

ملايين المشاهد والصور والمعلومات انتقلت بين عقولهما في دقائق معدودة.

وفي سرعة أمسكت توليا بيد نيراف قائلة: هيا بنا.

وغادرا العيادة تصاحبهما نظرات الممرضة البلهاء غير المصدقة لما يحدث.

- سوف أطلب من السائق أن يغادر. انتظرني للحظات.

ذهبت روان إلى السيارة الفارهة، وطلبت من السائق أن يغادر، فهي سوف تقضي وقتًا طويلًا مع دكتور رأفت زيدان، وسوف تعود بمفردها للمنزل.

حاول السائق أن يناقشها، ولكنا أشارت له بأن يصمت، وطالبته بتنفيذ كلامها.

وتحركت السيارة بالفعل..

وعادت روان إلى نادر الذي كان يشاهد ما يحدث وهو غير مصدق لما يمر به، وإلى الذاكرة الغامضة التي نشأت بداخله، أو ربما كانت هناك مختفية بين جنبات عقله، وظهرت مع ظهور هذه الفتاة..

قلبه يتراقص في فرح حقيقي. لم يكن لنادر زهران حبيبة حقيقية من قبل، ولكن إحساسه ناحية هذه الفتاة

يفوق أحاسيس العاشقين.. هو يشعر أنهما قد عاشا سويًا حياة كاملة من قبل، ولأول مرة يشعر بتلك الوخزة في كتفه الأيسر، حتى أنه أدخل يده ليتحسس كتفه، ويبعد يده بسرعة.. فلأول مرة يكتشف أثرًا لجرح قديم في كتفة الأيسر..

هنا اقتربت منه روان قائلة:

- أنت تتساءل عما يحدث.. ولكنك أدركته كاملًا.. أليس كذلك؟

أجابها نادر وهو يشعل لفافة تبغ:

- نعم، ولو أن أي شخص آخر شاهد ما حدث بيننا، وأننا نسير سويًا في الشارع، لن يصدق أننا التقينا منذ دقائق فقط. ولكنني أشعر بأننا عشنا حياة سابقة لشخصين من ماضي سحيق..

- وهو نفس إحساسي..

قالتها روان وهي تتناول لفافة التبغ من يده وتدخنها في تلذذ حقيقي.

- حسنا يا نادر. أنت وبشكل ما تشارك معي المعلومات.. ويجب أن تساعدني للدخول إلى المتحف المصري والوصول إلى الهرم الأسود..

أجابها نادر متعجبًا:

- ولكن الدخول إلى المتحف هو ليس بمهمة صعبة؟

نظرت له روان، وعقدت حاجبيها بغضب طفولي قائلة:

- يجب أن نذهب هناك في وقت لا يوجد به أي شخص سوانا.. أنا وأنت فقط.

ابتسم نادر بسخريته المعهودة قائلًا:

- أنتِ بحاجة إلى جيمس بوند يا روان. أنا لا أعلم كيفية التسلل إلى أهم المناطق الأثرية في مصر بعد اوقات عملهم الرسمية. أنتِ لا تتخيلين مقدار الرقابة على هذا المكان..

نظرت روان إلى الأرض للحظات وهي تفكر في كلام نادر، ثم قالت:

- سوف نجد حلًا.. سوف نجده صدقني.

ثم نظرت إليه وهي تسأله:

- هل تصدقني؟

أجابها نادر بدون تردد:

- أنا أحبك.

قالها وهو يمسك يدها الجميلة برفق ويقبلها.

مشاعر هائلة كانت تجتاح روان ونادر في تلك اللحظات. بين الحب والفرحة والرهبة وحتي الخوف من القادم.. كانت روان تعلم حقيقة ما يحدث معهما، وأن انجذابها لذلك الشاب الغريب هو انجذاب لتوليا التي عشقت رجلًا اسمه نيراف.. ولكن كل شيء يحدث لسبب ما..

كل التقاطعات الزمنية جمعتها بهذا الشاب لهدف ما..

وساد الصمت بينهما ظاهريًا وهما يتجولان في شوارع المهندسين والدقي، ولكن الحقيقة أن عقليهما كانا يتحدثان بمنتهى السرعة..

حوار عقلي نقي يتجاوز حوار البشر الطبيعيين. مقدار التخاطر بينهما هائل، وربما نادر الحدوث من الأساس.

في النهاية استقرا أن يذهبا إلى المتحف المصري بشكل طبيعي، وأن تحضر روان الأوراق الخاصة بها، على أن يلتقيا الساعة العاشرة صباحًا أمام المتحف المصري؛ لكي تبدأ رحلتهما في البحث عن حل اللغز.

خمس ساعات مرت وهما يتجولان بلا هدف في الشوارع، إلى أن وصلت روان بالقرب من منزلها.

نظر لها نادر برومانسية غير معتادة قائلًا:

- سوف أراكِ غدًا.

أجابته وهي تضغط على يده: وأنا سوف أراك بعقلي حتى الغد.

وغادرت روان، وأكمل نادر طريقه وهو يحاول تفسير ما يحدث له.. لقد مر بمختلف التجارب الغامضة والغريبة والمرعبة، ولكن لأول مرة يجد نفسه متناغمًا مع شخص بهذه الكيفية.

العالم دائمًا ما يحمل له مفاجآت وكوارث وغرائب، ولكن هذه المرة الأمر مختلف.

القدر جاء إليه بفتاة يحبها من آلاف السنين..

حتى حينما شعر بالحب يجتاح قلبه، كانت حبيبته تحمل ذكريات لفتاة عاشت في الماضي، وهو كذلك يحمل ذكريات شخص عاش في الماضي!!

وابتسم وهو يهز رأسه، فطبيعي لمن عاش حياته الغريبة أن يكمل كل جنباتها بشكل أكثر غرابة..

هو قدره.

وهذه هي حياته.

ولكنه يحب روان أو توليا أو يحبهما معًا.

هذا أمر لا خلاف عليه.

ولا داعي لكي يفكر في المستقبل الذي طالما شغل باله.

في العاشرة صباحًا كان نادر يقف بجوار المتحف المصري، ينتظر روان، وبالفعل توقفت سيارتها أمام المتحف.. وهبطت منها روان..

وانتظر نادر للحظات قبل أن يقترب من روان التي ابتسمت وهي تحدق فيه قائلة:

- ها أنت ذا قد هذبت لحيتك يا عزيزي. وصرت أكثر أناقة.

بادلها نادر الابتسامة وهو يقول مازحًا:

- أنا دائم التألق، ولكنني ازددت تألقا وجمالا في وجودك..

- وشاعر أيضًا يجيد الكلام المعسول.. عظيم.

قالتها روان وهي تسير مسرعة إلى باب المتحف.

دلفا إلى المتحف وهما يبحثان عن الهرم المنشود، وبعد دقائق كانا يقفان أمامه، أخرجت روان ورقة مكتوبة بخط يدها.

ونظرت إلى نادر قائلة:

- لا تستعجب من أي شيء سوف يحدث.

وقبل أن يجيبها نادر، كانت تحرك رأسها ناحية اليسار ثم إلى ناحية اليمين، ومن ثم جلست أمام الهرم المقدس، لتشاهد ما يحدث أمامها، وأصوات الهمسات تتردد في جنبات عقلها قائلة: أحسنتِ. أكملي ما بدأتيه ولا تخافي من أي شيء. وحتى الشاب الواقف بجوارك هو جدير بثقتك.. اطمئني..

كانت الهمسات تتردد في عقل روان وهي تشاهد العلامات التي تتحرك بسرعة شديدة على أوجه الهرم الأسود، أو كما يطلق عليه هرم بن بن..

مئات الأحرف والعلامات تتكرر وتتحرك بنفس الكيفية التي حدثت في حجر رشيد بالمتحف البريطاني..

وروان تسجل كل شيء بشكل غريب وتقوم بكتابته في

الأوراق.

نادر يتلفت حوله وقد بدأ الزوار ينظرون باستغراب إلى الفتاة الجالسة على الأرض وحركاتها الغريبة..

ولم يدم الأمر طويلًا.. فبعد لحظات كانت روان قد انتهت من كل شيء. انتهت من الوصول إلى حل اللغز كاملًا..

- هيا بنا.

قالتها لنادر وغادرا المتحف مسرعين.

في نفس الوقت كان هناك رجل يتابع كل ما يحدث مع روان بمنتهى التركيز، وحينما خرجت مع نادر كان يراقبهما حتى استقلا إحدى سيارات التاكسي ومن خلفهم كانت تتحرك سيارة تحمل لوحات إحدى السفارات الأجنبية.

أخرج الرجل جهازًا صغيرًا. وقال فيه كلمات واضحة:

(لقد اجتازت الفتاة المرحلة الثانية بنجاح يرجا اتخاذ اللازم).

وفي جانب آخر من العالم. وعلي طاولة بيضاوية الشكل. أضاءت شاشة هاتف أحد الجالسين، وتبعها صوت الرجل الذي أرسله من مصر، وهو يؤكد على اجتياز الفتاة للمرحلة الثانية..

وابتسم الجالس على الطاولة ابتسامة ممزوجة بفحيح غريب، فحيح غير بشري نهائيًا

وعلي إثره كان الجالسون على نفس الطاولة يردون بفحيح مماثل.

فحيح لو ترجمناه بلغة الزواحف التي ينتمون إليها. فهو يعني ببساطة أن حلمهم للوصول إلى غايتهم قارب على أن يصبح حقيقة.

حقيقة طال انتظارها... للغاية.

(الموجة الخامسة): إرث الأولين

- نفهم كل شيء بوضوح.

قالتها روان وهي تجلس بجوار نادر في أكثر الأماكن أمانًا على وجه الأرض.

شقة نادر زهران بشبرا. التي شهدت أهوالا يومًا ما..

كان اختيار نادر لهذا المكان - رغم الحالة المزرية التي تبدو عليها الشقة - هو اختيار غير مفهوم، ولكنه نبع من داخله أو تم إرشاده إليه..

افترشت روان الأرض، وقامت بوضع الأوراق أمامها.

وبدأت تتحدث إلى نادر الجالس أمامها..

- الأمر برمته هو أشبه بالمعادلة يا نادر، منذ أن تواجدت هناك في تلك القرية بالنوبة. هناك حدث شيء ما. ذلك الشيء ما زال يلازمني وهو روح فتاة عاشت في الحياة المصرية القديمة اسمها توليا.. من الواضح أن هذه الفتاة كان لها دور وأثر واضحين في مرحلة ما من التاريخ المصري القديم. في مواجهة شياطين من نوع ما. ولكنها لم تكن أبدًا بمفردها.

هنا تدخل نادر في الحوار قائلًا:

- بالطبع كان يشاركها (نيراف) الذي شعرت به بداخلي بمجرد أن التقيت بك.

- بالضبط هذا ما حدث..

قالتها روان وهي تكمل حديثها قائلة:

- إن ما حدث في إندونيسيا كان دلالة على أنني الشخص المطلوب لتنفيذ شيء ما. كان التسونامي للبرهنة على أني بالفعل أمتلك شيئًا ما غير موجود إلا عند قليل من البشر، شيئًا حتى هذه اللحظة لم أصل إليه بشكل واضح.

ما يهمنا هو أن نعلم أن حجر رشيد، أو حجر منبع العلوم كما قمت بترجمته، لم يكن أبدًا هدفه هو تعريف المصريين والعالم بحقيقة اللغة الهيروغليفية. وإنما الحقيقة أن الحجر يمثل نصف الطريق. والنصف الآخر مرتبط ارتباط وثيق بالهرم الأسود الذي كنا أمامه منذ قليل.

ونستطيع أن نجمع كل الخيوط..

وأخرجت القلم من حقيبتها مع بضع ورقات وهي تكتب:

(وحينما تتحقق الدلالات يكون أمام الشخص الموعود عشر ليالٍ للوصول إلى المصدر).

كان هذا هو الجزء الأول من المعادلة، والجزء الآخر الذي كتبته من على الهرم الأسود يوضح الصورة كاملة..

وكتبت وهي تنطق كل الكلمات:

(ومصدر العلوم الحقيقية يقبع هناك بين قدمي حارس الأهرامات، وما على الشخص الموعود إلا أن يقف هناك. أمام لوحته، وسوف يصل إلى الرقاقات الذهبية...كل علومنا وعلوم القدماء تم وضعها على سبعة ألواح ذهبية تحمل

الإرث الحقيقي للبشر من علوم واكتشافات).

وصمتت روان وهي تتبادل مع نادر النظرات.. وساد الصمت بينهما لدقائق، ونادر يمسك الأوراق ويقرأها مرة أخرى بعناية..

وفي النهاية قطعت روان حاجز الصمت قائلة:

- يجب أن نذهب وبلا أي تأخير.

أمسك نادر بيدها قائلًا:

- إلى أين نذهب يا روان؟

وكيف سندخل إلى منطقة الأهرامات؟

يجب أن نرتب زيارتنا لهذا المكان بشكل صحيح، لا داعي للاستعجال.

وقبل أن تجيبه روان

بدأت الأضواء تخفت تدريجيًا في الغرفة.

ونادر يتمتم:

- ألم أقل لكي أنك في أكثر الأماكن أمانًا في العالم؟!

- ما الذي تعنيه يا نادر؟

قالتها روان وهي تشاهد إضاءة اللمبات التي تتراقص بشكل غريب.

أجابها نادر وهو يبتلع لعابه بصوت مسموع:

- أعني أن هناك شيئًا قادمًا إلينا. شيئًا لا أعلم ما هو، صدقيني... ولكنه قادم.

وبالفعل كان نادر على صواب. وهو يشاهد الظلام الذي يغلف أرجاء الغرفة من كل الأجناب إلا جانبًا واحدًا بدأ يظهر منه ضوء خافت...

وقبل أن يظهر الشيء القادم من الضوء أمسك نادر بيد روان وقال لها:

- هيا بنا. فالقادم لا يحمل لنا خيرًا..

أصوات هائلة تنطلق من خلفهما، والضوء يتراجع للخلف مرة أخرى، ونادر وروان يهبطان درجات السلم بسرعة.

- ما الذي يحدث يا نادر؟ أخبرني.

أجابها لاهثًا وهما يركضان في الشارع:

- لا مجال يا روان..

لا مجال سوى لشيء واحد.. أن نكمل ما بدأتِه.

وانطلقا سويًا إلى هناك..

إلى حيث كنز الأولين..

عند وصولهم إلى منطقة الأهرامات تواصلت روان مع والدها، وأخبرته أن يتحدث إلى أحد أفراد الأمن هناك، حتى يسهل لها جولتها في الأهرامات. وهو ما تم بالفعل بمجرد دخولها هناك..

المشكلة الحقيقية كانت في كم السائحين.. عددهم الكبير لا يسمح لروان ونادر أن يدلفا إلى المكان المنشود بين قدمي أبي الهول كما طلب منها..

في طريقهما إلى أبي الهول كان نادر يشعر بالحزن.

انقباضة قلبه تنبئه بأن هناك شيئًا سوف يحدث.

حاول جاهدًا أن يبتسم ويخفي ما يشعر به، ولكنه نسي تمامًا أن هناك رابطًا عقليًا يربط بينه وبين روان، التي أمسكت بيده قائلة:

- لا تخف يا نادر،

لا تخف من أي شيء.. أنا هنا بجوارك. لقد شاهدت حياتك السابقة وذكرياتك وكل ما مررت به. لقد كنت أظن لوهلة انني أتعس شخص في هذا الكون، أو أني الأسوأ حظًا.

ولكن الحقيقة أن ما عانيته أنت يفوق ما عانيته بمراحل..

أشاح نادر بوجهه بعيدًا وهو يقاوم تلك الدمعة التي تجاهد لتخرج.

ورد عليها قائلًا:

- أنا وأنتِ نسير بمخطط مجهول. لم يمر على لقائنا إلا سويعات، وأنا وأنتِ نستعد للدخول إلى مكان أثري مجهول. أنا دائمًا أعلم أن في الحياة طرقًا مختلفة لكل واحد فينا. ولكن ما عشته وتعيشينه هو أمر صعب للغاية. أنا أشعر بحنين رهيب إليكِ، أشعر به لأول مرة في حياتي الكئيبة

الغامضة. لأول مرة أشعر بانجذاب إلى فتاة حقيقية من أرضنا ومن جنسنا..

نظرت له وقد رفعت حاجبها الأيمن قائلة:

- معنى ذلك أنك انجذبت إلى إناث غير بشريات..

كنت أحدق فيها قائلًا:

- هل تتحدثين بجدية؟ وسط كل شيء تشعرين بالغيرة من أنني ربما قد امتلكت مشاعر لأنثى غير بشرية!

أشاحت بوجهها وهي تسرع الخطى ناحية هدفهما.

أما أنا فكنت غير مصدق أن تكون حواء بمثل هذا التفكير. سواء كانت توليا أو روان، فكلاهما تحملان نفس الجينات. جينات الغيرة على الرجل..

سوف أظل أتعلم كل يوم الكثير والكثير عن بنات حواء... إن فك شفرات عقولهن ليس بالأمر السهل على الإطلاق..

قالها وهو يركض خلف روان.. التي سبقته ووصلت إلى اللوحة الموجودة بجوار أبي الهول..

ومن حظهما الحسن أن المنطقة كانت شبه خاوية.

- ما الذي سنقوم به الآن؟

أجابته وهي تقف أمام اللوحة التي توضح رسمًا لأبي الهول، ونسخته الأخرى:

- لا أعلم. أعتقد أنني سوف أضع يدي هنا.

قالتها وهي تضع يدها على منتصف اللوحة تمامًا..

وحدث الاهتزاز.. اهتزاز قوي وعنيف في المنطقة بأكملها.

وبين أرجل التمثال بدأت تظهر فجوة ما.

تحرك نادر بسرعة بصحبة روان، ولكن ما أن وصلا هناك حتى وجدا خمسة رجال أشداء يوجهون إليهما أسلحتهم..

- هيا أمامنا.

قالها أحد الرجال الذي يجيد العربية بوضوح تام، وهو يشير إلى روان ونادر أن يهبطا في الفجوة المظلمة.

وكرر كلماته مرة أخرى بغضب قائلًا:

- هيا ادلفا إلى الداخل قبل أن يلاحظ أحد ما نقوم به.

ثم أشار إلى الرجال الواقفين بجواره إشارة ما. وتحرك رجلان منهم ليمسكا بنادر وروان، ويدخلا بهما إلى ذلك الممر.

بمجرد دخول الجميع إلى ذلك الممر الصخري بدأت تظهر إضاءات من الأرض نفسها.

وهبت عليهم نسمات باردة.

وروان ونادر يسيران أمام الرجال الغرباء.

اهتزازات تحدث من حين لآخر، وقائد الرجال يوجه كلامه لروان قائلًا:

- من الغريب أن تكون الشخصية الموعودة بهذا الشكل، أو

حتى بهذه البلاهة..

التفت إليه نادر بغضب وحاول أن يوجه إليه لكمة، ولكن الرجل تفاداها بهدوء شديد وهو يمسك نادر من عنقه قائلًا:

- حتى أنت بكل ما رأيته، فأنت شخص غير قادر على فهم الحقيقة.

ودفع بنادر بعيدًا وهو يكمل:

- إننا نعرفك، ولدينا معلوماتك. وربما كنت أنت السبب الوحيد الذي جعلنا نستغرب مما يحدث،

فلقاؤك بهذه الفتاة هو أمر غريب...

ثم أكمل بغضب:

- ودعونا ننهي كل شيء. وأسرعا خطاكما..

تبادل نادر وروان النظرات، وهما يكملان المسيرة التي توقفت أمام باب صخري، وفي منتصفه مكان لراحة يد..

وفي سرعة أمسك الرجل بيد روان ووضعها في ذلك التجويف، لكي يتحرك الباب للأعلى

وتنطلق الإضاءات في غرفة ملحقة به، غرفة هائلة الحجم، على جوانبها رقاقات ذهبية هائلة الحجم، مدون عليها كل العلوم القديمة..

- يا إلهي!!

قالها نادر وهو يتأمل الرقاقات في انبهار حقيقي. كل

شيء مكتوب ومرسوم بدقة متناهية. وأسفل كل رقاقة تتواجد أجهزة غريبة. أجهزة لم يشاهدها أحد من قبل. أجهزة امتلكتها يومًا ما إحدى أهم الحضارات عبر العصور.. امتلكها المصريون القدماء..

- هيا بنا.

قالها رجل العصابة، وهو يشير إلى الجميع أن يتقدموا إلى الغرفة الأخرى، وبالطبع تقدم نادر وروان، ومن خلفهما أفراد العصابة التي لا تهدد نادر وروان فقط، وإنما تهدد العالم..

عصابة تعبث بمقادير العالم.. عصابة الماسونية وأشباهها.

وفي الغرفة الثانية كان الوضع أكثر إبهارًا..

أنواع مختلفة من الأسلحة والاختراعات الغريبة تم وضعها في صناديق زجاجية لامعة.

الجميع في حالة رهبة واندهاش من كل ما يشاهدونه.

وروان ونادر يتبادلان حديثًا عقليًا مبهمًا..

روان تفكر في أن تقوم بحركة مفاجئة وتأخذ المسدس من الرجل الواقف بجوارها..

ونادر يرفض ذلك ويقول لها إننا يجب أن نتريث قليلًا ربما نخرج من هنا سالمين..

ووسط هذا الحديث العقلي تدخل القائد صاحب الجسد الهائب قائلًا:

- أنتِ تأتين معي.

وأمسك برسغها وهو يجرها جرًا إلى إحدى اللوحات الموضوعة في جانب القاعة الهائلة، وأخرج سكينًا صغيرًا من جنبه، وأمسك بيد روان، وقام بجرح راحة يدها. لتسيل الدماء على الأرض، ويمسك بها الرجل ويضع راحة اليد على فجوة صخرية أخرى، ولكن الرجل لم يلحظ أن هناك مكانًا ليد أخرى بجوار اليد اليمنى الدامية لروان.. بل ولم يلتفت لها من الأساس، فقد كان ما يشغل باله هو الركن الذي ظهر فجأة حاملًا كريستالة لامعة من نوع خاص جدًا..

ولمعت عينا الرجل وهو يقف أمام الحاجز الزجاجي..

هذه الكريستالة هي مفتاح كل شيء..

مصدر طاقة لا نهائي بإمكانه إضاءة كوكب الأرض لألف سنة بدون توقف!!

وقد تم إبلاغه بأنها بالغة الأهمية..

حاول الرجل أن يقوم برفع الحاجز الزجاجي أكثر من مرة ولكنه فشل.. في نفس الوقت كان نادر زهران في حراسة رجلين والأسلحة موجهة إلى رأسه..

أما روان.. فقد كانت تتبادل النظرات بين الكريستالة وبين نادر..

وفي ذعر شاهد نادر ذلك الجزء المظلم من عقل روان.. وارتجف في رعب حتى أن الرجل الممسك بالسلاح قد قام

بتلقيمه وهو يصرخ بنادر قائلًا:

- ما بك يا رجل؟

- أرجوكِ ألا تقومي بذلك. أرجوكِ يا روان..

كانت تلك رسالته العقلية التي بعثها لروان، التي كانت تتطلع إلى كل ما يحدث.. وسالت دمعتها، وهي تقول:

- لا بد من التضحية.. لا بد أن نمنع وصول علومنا إليهم.. سامحني يا نادر.. يومًا ما ضحيت بنفسك في حرب من أجلي.. وأنا اليوم أضحي من أجلك وأجل البشر أجمعين..

وبمنتهى السرعة وضعت روان راحتي يديها على الفجوتين اليمنى واليسرى، وضغطتهما بقوة..

كانت قد قرأت أن تلك الوسيلة هي الوسيلة الأمنية الوحيدة التي تمنع وصول العلوم إلى شخص أو منظمة غير مرغوب فيها... وتقوم بنقل كنز القدماء إلى مكان آخر تمامًا..

والتقت عينا نادر بعينيّ روان الدامعة.. وسمع رسالتها العقلية وهي تقول:

- لقد أحببتك.. أحببتك كنادر.. وأحببتك كنيراف.. وربما نلتقي يومًا في جسد آخر.. من يعرف؟

التفت إليها القائد حينما شاهد ما تقوم به، ولم يفهم في البداية تصرف روان، ولكنه أدرك ذلك متأخرا حينما بدأت كل النقوش تختفي من الحوائط، والمقتنيات تغلق وتغوص في فجواتها الصخرية.. وبدأت الأضواء الهائلة تغطي كل شيء..

ونادر يصرخ باسم روان، التي كانت تنظر له بابتسامة حزينة، وتشير إلى قلبها:

- وداعًا نادر.

قالتها وموجه هائلة من الأضواء المشتعلة تحيط بها كالإعصار، مع اهتزازات عنيفة في كل الأرجاء..

وانتهز نادر الفرصة وكال لكمة هائلة لأحد الحراس، وأخذ منه سلاحه، وانطلق راكضًا..

والقائد يصرخ فيهم:

- اتركوه يذهب وحاولوا معي في استخراج الكريستالة..

كان يقول ذلك متوهمًا بالطبع، فقد عادت الكريستالة في صندوقها الزجاجي، واختفت معلما اختفى كل شيء..

ونادر يركض وسط الاهتزازات العنيفة، وكل شيء ينهار حوله.. وآخر ما سمعه كان صراخ الرجال الذين تركهم وراءه..

أمامه الباب الآخر على وشك الانغلاق.. يركض مسرعًا وهو غير قادر على التنفس من كثرة الأتربة التي تنهال عليه من كل جانب.. ولكنه يركض وسط دموعه التي تنهمر على ما حدث لروان..

وبأعجوبة استطاع أن ينفذ من الباب الحجري قبل أن يغلق بصوت هائل.. واستمر نادر في الركض حتى خرج من الفجوة بين راحتي أبي الهول، وحينما خرج كان المكان مقلوبًا رأسًا

على عقب..

بين رجال شرطة ومصورين وسائحين. والجميع ينظر إلى الشاب المغطى بالأتربة تمامًا..

ينظرون إلى شاب كان شاهدًا منذ قليل على كنز من أهم كنوز البشر عبر التاريخ..

كنز القدماء الذي فقده منذ قليل..

ولكن الكنز الحقيقي الذي شعر بفقدانه نادر كان هو حبيبته عبر العصور..

حبيبته التي ضحت بنفسها من أجل الحفاظ على سر تقدم أجدادها القدماء..

ضحت بنفسها وهي مدركة أن ما قامت به هو الشيء الصحيح.. وفي قرارة نفسه، ولو كان مكانها لفعل نفس الشيء، وضحى بنفسه من أجل حماية أغلى وأهم كنوز الأرض..

تردد صوت روان في عقله مرة أخيرة، تبعتها دمعة حارة سالت على وجنته، وهي تقول:

- أحبك نادر.. وربما نلتقي يومًا ما في جسد آخر..

لقد ذهبت روان وذهب معها سرها.. ذهبت وقد حصلت على قلب نادر واحترامه لها ولما قامت به....

وعلى نادر أن يبقى على العهد.. وأن يحافظ على السر الذي

لن يبوح به لأي شخص..

سر القدماء وكنوزهم المخفية بعناية..

سر الهرم..

الهرم الأسود..

النهاية

ما بعد النهاية

- هذا هو المتحف الأهم في بلدنا.

قالتها مارجريت التي تعمل في مركز لرعاية الأطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة..

كانت هذه الرحلة لهم لأنها وعدتهم أن يشاهدوا أهم الآثار في العالم..

ولكنها التفتت إلى الطفل الصغير الذي افترش الأرض

أمام قطعة أثرية هامة..

اقتربت منه مارجريت وهي تقول:

- يبدو أن هذه القطعة قد نالت إعجابك كثيرًا يا ستيف.

ولكن الفتى ذا العشر سنوات نظر لها، ورأسه يهتز وهو يشير بإصبعه ناحية حجر رشيد، قائلًا:

- إن المكتوب على هذا الحجر يتحرك.. يتحرك بألوان ذهبية غريبة... صدقيني يا ميس مارجريت.. الكتابة تتحرك وتتلون بشكل غريب... وأسمع أصوات همسات في عقلي.

تمت بحمد الله

---

(1)- (لا بد أن تقرأ ما تم نشره من قبل عن نادر زهران، وهي روايات

الملعون والكتاب الأعمى والحظرد. إحساسك بعدم فهم شخصية نادر زهران يعود إلى تقصيرك في قراءة رواياته السابقة. وها قد اخبرتك ببعض المعلومات عنه. ارجوك دعنا نكمل الرواية.

شكر وتقدير

دائماً يظل هناك شكر خاص لأسماء غالية علي قلبي شرفت بمعرفتها والتعاون معها في قناة ألفا اليوم:

الإعلامي الكبير أ/ جمال عنايت- الإعلامي المميز/ أحمد يحيي - الإعلامية المتميزة/ رنا عرفة - المخرج المتألق/ عبد الرحمن زهران - الصحفي / محمود كامل - الصحفي/ بهاء المهدي- الصديق المميز/ موفق الليثي- الصديق الغالي/ محمد الشيمي- الدكتورة المميزة / مروة نوح.

والأصدقاء الأعزاء أثير/ د مروة طنطاوي/ محمد شعبان/ أحمد زكي/ اسلام عبد الله/ ايهاب مالك/ إيمان عثمان/ وليد عياد/ ديانا كارولاين أسعد/ هناء باوزير/ طرفة إبراهيم/ حور عادل/ حنان إبراهيم/ نورة فهد/ محمد الغماري/ ريهام كيلاني/ إنجي المولد/ مروة صلاح/ داليا حسن/ رزان الحربي/ حلمي عادل/ حاتم محمد/ أيمن عبد الصبور/ مصطفي عبد الصبور/ أحمد مسعد/ محمود لملوم/ محمود حسن/ أحمد بدر الدين/ حسام هاشم/ عبد الله عطية (مصلح)/ عبير عبد الجليل/ إسراء عادل/ محمود عادل/ محمود المعداوي/ نيرمين عادل/ نورهان عادل/ عبد الله عادل. لكم مني كل حب وتقدير، وإلى شقيقي محيي الدين محمد- وشقيقتي جيهان محمد- وإلى الغائب الحاضر (عادل عبدة). كنت دائماً بجواري. داعم وسند حقيقي. لروحك السلام

لكم مني جميعاً كل حب وتقدير دمتم ودام تواجدكم.